

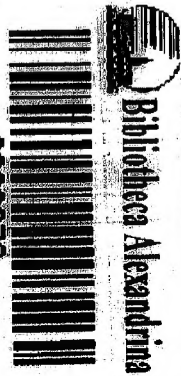
مقدّمات

سید محمد امجد الدین علی

تحفہ بن المصنوع
أبو القاسم الفزاري
علي بن الإبراهيم

علي بن
عبد الجبار الشرف

الكتاب الموقر للكتاب



طرائف الادب العربي

مِنْ بَاطِنِ اثْنَيْ عَشَرَ الشَّعْرِي

تحميم بن المenza الصنهاجي
أبو القاسم الفزاري
علي بن الإريادي

علي د ب

عبد الجبار الشريف

مكتبة النفيسة للتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

© الشركة التونسية للتوزيع

5 شارع قرطاج - تونس - 1982

المقدمة

هذه السلسلة من « التراجم الأدبية »

حين فكرنا في كتابتها كانت أمامنا جملة من الأسباب
والرؤى تدعونا جميعها إلى تذكير الأجيال بأدباء لاقوا من الإنكار
والإهمال ما جعلهم يتألمون وتتصاعد النقمة فيهم ، لمجتمع
أعطوه الفكر والثقافة فجازاهم بالتحقير والنسيان ...

هذه المعاناة النفسية أثرت على المردود الأدبي وبدلاً من
الابتكار والخلق والتعبير عن الخصوصية الذاتية داخل شخصية
الأمة العربية ، بدلاً من هذا كله بسادروا إلى المحاكاة
والتقليد لا عن اقتناع ولكن لإرضاء لمجتمع رفض الإبداع
وأوحى لمفكره بالاجترار والسير في الطرقات المعبدة ...

ونحن حين كتبنا هذه السلسلة لم نغب على أذهاننا حقيقة
الصراع والمركبات النفسية التي فرضت على أدباء تلك
الحقبة ولم تتح لبعضهم الظروف المادية والمعنوية ومختلف
قوى الصراع حتى الاصداغ بما يحسون به ويتطلعون اليه ...
لهذا رأينا ازدهار النقد والتنظير وصفاء ملكة الذوق لكن لم
يصاحب هذا جودة في الإبداع تواكب الطموحات ...

ومع ذلك ورغم كل شيء كانوا صورا لعصورهم ولو أن
بعضها مهزوزة أو غير متكاملة أو أشعرتك بألوان أخرى وسمات

معروفة ... هذه الصفوة من الأدباء ملؤوا أزمנתهم بحق وإن لم ينصفوا بالتعريف والتقييم ... وتلك عادة سيئة ما زلنا نعاني من مخلفاتها اذ نطلب ما عند غيرنا بالحاح وننسى أننا نساهم اذا أردنا في إثراء ثقافتنا العربية وهي لم تكن ثرية وغنية الا بروافدها الكثيرة . وتناست أجيالنا المتعاقبة أننا بعض تلك الروافد وان من ينفق من تراثه وحضارته بدون إضافة سرعان ما يجد نفسه يعيش حالة الكفاف والتقتير والتبعية . وفعلا بادرنا الى اتهام أدبنا بالضحالة والتقليد عوضا عن تقييم التجارب وعمن يتحمل المسؤولية ... ولم نقل مع القائلين لا كرامة لنبي في قومه ، ولكننا بادرنا باصدار هذا الجهد المبسط لادباء بقيت أسماؤهم كبيرة على مر العصور ، ولكن الكثير من أجيالنا لا تتعدى معارفهم غير الاسماء ، ولا يتصورون عنهم حتى معلومات وجيزة تخبرهم بأهم السمات الفكرية لاولئك الأدباء ... لا نبالغ في اطراء هذه السلسلة فهي تبقى في طور المحاولة والتعريف وهي مهما كانت طموحاتنا تبقى في مرتبة الاضافة لما كتب من الذين سبقونا ... وإن كان لنا من فضل فهو توخي المعلومات الدقيقة واثبات المراجع التي اعتمدنا عليها ولا مزية لنا في ذلك ولكن الأمانة العلمية وأصول البحث الجديدة جعلتنا نفيد بقدر ما نستفيد .

ونأمل أن نجد من الوقت والتشجيع ما يدفعنا لمواصلة هذا الجهد وتعميم التجربة لتشمل الأدب المنسي عبر العصور ولتسحب التجربة حتى على أجيالنا الحالية وهي ما زالت تعاني

مما عانى منه القدماء فالشكوى واحدة «والبلية متصلة» وإن
تباعد ما بين الأجيال

علي دب وعبد الجبار الشريف

رادس في 24 - 6 - 80

تمہیں بن المعز الصندکاجی

أصبح وأعلى ما سمعنا عن الندى عن الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويه السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميم
هذا المقطع من قصيدة لابن رشيق مدح بها «تميم» بن المعز
الصنهاجي (+).

وان قبلنا هذه الصفات بتحفظ، وحذرنا من تزيادات الشعراء
ذات النزعات المادية والدوافع التكتيكية، فإن التاريخ - والتاريخ
أنصف حكم - يؤكد لنا كرم تميم وعطفه على الأدباء والشعراء
في عصره وقد شاركهم في الهواية ونازعهم في مكابدة مهنة
الأدب، وإن امتاز عليهم بالتعرف المادي وربما الفني أيضا، فهذا
ابن خلكان يثبت أن تميما «كان يعجز الجوائز السنية ويعطى
العطاء الجزيل (1)».

(+) تميم بن المعز الصنهاجي هو غير تميم بن المعز الفاطمي فكلاهما شاعر وأمير
غير أن الأول عاش في القيروان والمهدية والثاني في مصر وهو ابن المعز لدين الله الفاطمي
وله ديوان مطبوع .
(1) وفيات الاعيان لابن خلكان ص / 122 .

عصر الشاع

يمتد العصر الصنهاجي من « 973 إلى 1058م » ويعد من أزهى عصور القيروان وأرسخها قدما في السياسة والأدب ، اذ لم تنحصر النهضة الأدبية في عاصمة الدولة وإنما شملت مدينة المهدية العاصمة الثانية وانتقلت إلى مدن القطر الهامة مثل : قفصة وصفاقس وقابس وباجة وتونس (1).

ولربما التجأت أصول هذه النهضة من المشرق - فرارا من جور الحكام - إلى احضان المغرب كبديل للمشرق العربي وقد بدأ ينخر كيانه الضعف وتنهكه التيارات السياسية المتناحرة المتكالبية على الحكم . إزاء هذا الوضع المتأرجع هاجر الكثير من أدباء بغداد إلى الإمارات الأخرى وفيهم من وصل إلى افريقية .

والسبب الثاني : الضعف والتفكك الذي اجتاح الأندلس بعد عصورها الذهبية ، والانقسام السرطاني في الإمارات الكثيرة مما جعل بعض الأدباء يعزفون عن الأندلس وينعتون أمراءها بالقطط التي تقلد الأسود أسماء وانتفاشا ، وقد وجد هؤلاء الأدباء الاستقرار والقوة في الدولة الصنهاجية الفتية .

1 (مجمل تاريخ الأدب التونسي ص / 104 لحسن حسني عبد الوهاب .

ونحن نؤمن بأن القوة السياسية يواكبها نضج فكري حضاريا وأدبيا، أو بالأحرى الثورة السياسية تصاحبها أو تمهد لها ثورة ثقافية . وإذا وقع خلل أو تنافر بين المقاييس السياسية والانبعاث الأدبي فيرجع ذلك إلى العقم السياسي وتحجر قوالبه ذات النظرة الفوقية ويؤدي هذا التنافر بين السياسة والأدب الى تفكك المجتمع، وتعطل قواه الحية الخلاقة .

غير أن السياسة الصنهاجية لم تنزل في هذا المنعطف الخطير، منعطف فصل الفكر الثقافي عن السياسي، فأخت بينهما . ولاننس أن هذا العصر حلقة من حلقات التاريخ التونسي الطويل المليء بالأحداث والمفاجآت، بل والتقلبات التي تبدو أحيانا متشابكة غير مقنعة .

ولا شك أن هذا العصر يستند على أسس ثابتة من العصر الأغلبي والفاطمي التي تعد من عصور الإزدهار التونسي . والعامل الأقوى في إزدهار الأدب التونسي أثناء العصر الصنهاجي يكمن في الأمراء انفسهم الذين امتازوا بالنضج، والإمكانات العقلية، والمتانة الثقافية، والتشبع بالروح الوطنية التي تعتبر الأدب خير مقومات الأمة، وأصفى وجه لها . وكتب التاريخ تروي لنا الكثير عن المعز بن باديس وابنه تميم، وكانا من أنضج الحكام الذين تعاقبوا على هذا القطر، وهما بلا منازع أكبر امراء الخلية الصنهاجية .

كان المعز بن باديس كما يثبت ابن خلكان «محباً لأهل العلم، كثير العطاء. مدحه الشعراء وانتجعه الأدباء، حضرته محط الامال...» أما تميم فقد وصفه بأنه «محب للعلماء، معظم لأرباب الفضائل، حتى قصدته الشعراء من الافاق على بعد الدار، كابن السراج الصوري وانظاره. وكان يجيز الجوائز السنية ويعطي العطاء الجزيل (1).

ولذا افتقرت النهضة السياسية إلى انتعاش ثقافي فإن الوعي الثقافي والأدبي خاصة يحتاجان إلى صفاء ونضج في المقاييس النقدية. وبهذا نصل إلى العامل الرابع من عوامل ازدهار الأدب الصنهاجي انطلاقاً من المبدأ السليم: النهضة الأدبية بلا نهضة نقدية عرجاء». واكب التفتح الأدبي نقاد اتخذوا المقاييس النقدية دليلاً، بعد أن تسلط الذوق الشخصي على الأدب العربي عبر أحقابه التاريخية الطويلة، ومازلنا نعتز بكتاب «المتع للنهشلي» و«العمدة لابن رشيق» و«وسائل الانتقاد لابن شرف» وكلها ألقت في هذا العصر.

ولربما يضاف إلى كل هذا وضوح المدارس الأدبية المشرقية والمغربية. وهكذا تضافرت العوامل الخارجية مع العوامل الداخلية لتجعل من العهد الصنهاجي عهد ازدهار أدبي وانبعث ثقافي. في حراسة حس أدبي وعلمي نزيه، ورعاية أمراء جمعوا بين السياسة والأدب. فمن غير المستغرب أن يسمو هذا العصر أدبياً كما سما سياسياً، لأنه يستند إلى جذور أصلية وثابتة.

(1) (وفيات الاعيان لابن خلكان ص 122).

البيروت الخاصة وأسلوب حياته

ترعى في قصور الملك بالمنصورية تربية خاصة كغيره من أبناء الأمراء الذين يولدون مع هالات الاستبشار والفرح. فهم الملوك الصغار، وساسة البلاد المنتظرون، يترعرعون في نعيم متنام لا ينضب، وسط التدليل والتطويل، ويموتون مشيعين بالآلاف الأعين والأذرع.

وقر المعز بن باديس لابنه مناخا أدبيا وفكريا جمع فيه بين التعليم الخاص وحضور المجالس العامة والمنافرات الأدبية والعلمية التي يزخر بها بلاط هذا الأمير، وقد ضم إليه أدباء هذا العصر، وزرع بينهم الخصومات الأدبية، فكان يقرب هذا ليقصى ذلك، ثم ما يلبث أن يعيده، فيستमित الغالب والمغلوب في الظفر بحظوة الأمير، والاستحواذ على صلاته. وكان ابن رشيق وابن شرف فرسي الرهان يضاف إليهما أبو الحسن الحصري وابن أبي الرجال وغيرهم من أدباء العصر. ولكل هذا تأثير على تكوين الشاعر، وتأثر بما يدور حوله من التقليد إلى الإعجاب. ولما بلغ الثالثة والعشرين ولاه على المهدي، لكن الزحفة الهلالية المدمرة عصفت بملك الأب وحطمت القبروان عاصمته المحببة. وأظهر

المعز تساهلاً في إدخال الاعراب واستقبال أعيانهم، مما مكنهم من تحطيم ملكه، وكان رأي تميم أن يجابهم المعز بالقوة، وإن لا يظهر لهم اللين ويحتضنهم بحفاوة الاستقبال، فحدث بين الأب والابن - كما يقول الدكتور حسين مؤنس : «جفوة خفيفة (1)»، غير أن المعز إلتجأ إلى ابنه السند الأخير بالمهدية بعد خراب القيروان سنة 444 هـ. فأكرم مثواه وإن لم يمكنه من مقابليد الحكم وهذا يثبت الرأي القائل بحدوث الجفوة بين الابن وأبيه ولربما انغرس في ذهن الشاب مزيج من الألم وقلة الثقة في قيادة الأب الشيخ، خاصة بعد الفشل الذي أظهره في حروبه مع الهلالين، إذ تغلب عليه شذاذ الاعراب المرتزقة بـ30 ألفاً وهو يعد ثمانين ألفاً. ونزعة التملك التي تستحوذ على مشاعر الإنسان وتزين له حب السلطة، هي التي سمت العلاقة بين الابن وأبيه - على ما نعتقد - والأ كيف نفسر هذا الاستياء المفتعل من الابن؟ ألا تكون خيوط الشك عملت مفعولها في ذهن تميم، فحذر من أبيه على إمارة المهدية وقد إستأثر بها كشاهد. أخير يحكي مجد الأجداد، ويقبع داخل أسوارها ليحفظ ما تبقى من العائلة المالكة؟. ونحن نلجأ إلى هذا الاعتقاد مستنديين على المصادر التي تشبه سياسة المعز، فكيف يسخط الابن على سياسة فشلت مرة ونجحت مرات، وشهادة الاعداء خير دليل وأصدق حكم في كل الظروف. فهذا علي ابن رزق الرياحي أحد الاعراب الذين غزوا إفريقية يسجل الوقائع في قصيد طويل :

(1) هامش الحلة السيرة تحقيق الدكتور حسين مؤنس ص 22 .

الا طرقتنا من أميم خيال وايدى المطايا بالذميل عجال
ويشير إلى المعز بن باديس بكل إحترام وتقدير :
وأما ابن باديس لاحزم مالك ولكن لعمري ما لديه رجال
ثلاثة آلاف لنا غلبت له ثمانين ألفا إن ذا لنكال (1)
كيف نفسر اعتراف العدو، وهل لنا أن ننزه نية الابن
المنطوية على الحسرة والانخذال مع التمسك بالمهدية الاثر
الباقى وعدم التفريط فيها حتى لولي نعمته ؟ المهم أن «تميم»
عاش ازمة تأنيب الضمير، وتفاعلت في كيانه عملية الأبوة
والواجب مع حب الملك والمصلحة الآنية، فلم يعنف الأب،
ولم يمكنه في نفس الوقت من حقه الشرعي، وما أشبه هذا
التصرف المأسوي في عملية الإزاحة التلقائية بانقلاب فني
هيات مسرحه الظروف وأملته نزوة الحكم فاشتدت المحنة على
المعز المهزوم داخليا وخارجيا حتى توفي . « وبعد وفاة المعز
صار تميم » أميرا حقيقيا فملك افريقية وما ولاها بعد أبيه وكان
حسن السيرة محمود الآثار (2) .

ونود أن ننقل فقرة طريفة كتبها المؤرخ ابن عذارى
المراكشي في بيانه المغرب، وكان غريبا حقا في ما رواه عن
حياة تميم الخاصة وتصرفاته العجيبة في نظام عيشه : « كان جميلا
وسيماء، مديد القامة، دري اللون، أشم أبلح، وكان يكثر من
استفراغ بدنه، ويرى بذلك تنمة صحته، فيستعمل كل حار

1 (الحلل السندسية في الأخبار التونسية القسم الرابع ص 945 - للوزير السراج

2 (البيان المغرب لابن عذارى المراكشي ص 437 .

من الأدوية والأغذية ، ويكثر من الاصطلاء بالنار، ويدخل الحمام الحار ، ويكثر الجماع وشرب الأدوية المقوية كالمحمودة وغيرها، ويجاوز في ذلك المقدار، حتى جف لحمه وفسدت حركاته الطبيعية واقعد ثم مات سنة 501 هـ فكان عمره 79 عاما وولايته من يوم وفاة أبيه 46 سنة وخلف من الأولاد الذكور ما جاوز عددهم المائة (1) .

ورغم النزعة الاسطورية التي تسيطر على بعض الجوانب في هذه الفقرة، فإننا نريد أن نسلط عليها بعض الاضواء، علما تسهم في الالمام بشخصية الشاعر الخفية .. فنحن لا نرفض هذه الاخبار من الأساس . بل نحاول تحليل التصرفات، وقد وجدنا في «المؤنس» إشارة إلى هذه الأخبار، غير ان ابن أبي دينار لم يورط نفسه بروايتها تحاشيا للمبالغة، أما نحن فلم نلاحظ اختلافا كبيرا بين مزاج الشاعر وهذه التربية الالزامية التي حاول ترويض نفسه بها .

1 - ان هذا الأسلوب القاسي الذي ارتأه «تميم» ما هو إلا عملية رد فعل للنعمة والبذخ الغارق فيهما، ولعلها ردة نفسية بعد أن شعر بواقع بلاده الذي يتطلب الحزم والعزم، ولربما أعطته زحفة الهاليلين درسا عمليا، فاثبتت له أن النعمة لا تدوم . ونمط الحياة الجديدة محاولة لسبر النفس، وحملها على المكارهِ التي تترصده الأمراء والملوك وهذا الأسلوب طالما عود

(1) نفس المرجع .

الملوك أبناءهم عليه كنوع من التربية الاسبرطية تحسبا للطوارئ وتقلبات الملك فنزعات القسوة لا يخلو منها عصر مهما كان استقراره، وشبهها يخيف كل أمير .

2 - يثبت هذا الاتجاه في التربية والتدوي ميل «تميم» لأسلوب حياة العوام الذين يزعمون أن الدواء الكريه يزيل الداء المتمكن، وينفرون تبعا لهذا من كل دواء مستساغ حلو الطعم، لخلوه من حصانة العنف المكتسح لكل داء مستوطن

3 - استفراغ الشاعر لبدنه القوي المكتنز واستهلاكه لقواه صفة امتاز بها حتى في محاربته الاعداء المتكالبين على ملكه ففي الموسوعة الاسلامية : «أن تميما أظهر مقدرة عجيبة في الأوقات العصيبة التي كانت تحيط به عند إعتلائه العرش، وتجهز في المهديّة التي بقيت له من كل املاكه لاستعادة مدن افريقية بعد أن استقل بها ولاتها ... (1)»

وتظافرت الأزمات على الشاعر الأمير : « ففي أيامه كانت المجاعة الكبرى بافريقية، والوباء الذي لم يسمع بمثله (484هـ)، وقد قضى أغلب أوقاته مقاوما فيها الثورات التي كانت من بني عمه ومن العرب (2) ». إذا فقد اظهرت هذه التربية جدواها، وأتت أكلها إيمان الحاجة . هذه بعض الملامح عن شخصية الشاعر الأمير ونظام حياته، فما هو إنعكاس هذه الحياة في شعره ... ؟

1 (الموسوعة الاسلامية مادة تميم ص 437 .

2 (المؤنس في أخبار افريقيا وتونس لابن أبي دينار ص 85/ .

الشعر وحياة القصور

كانت المنابع الثرة لشعر تميم بعيدة عن جو السياسة والحكم وأبهة الملك، وقريبة من الحياة الناعمة الدافئة، وسط ثراء القصور وبهارج الحضارة، هذه هي السمة البارزة لشعره شعر ارسطقراطي مترف في أشكاله ومعانيه، لا ينمو إلا في ظلال القصور واكناف حدائقه الخضر، مع الحان القيان وزخات الخمر وأصوات الجواري. فالشاعر ابن بار لبيثته الخاصة، وشعره صدى لحيثته المنعممة .

الخمر والغزل خطان متكاملان لفن الشاعر طغيا على بقية أغراضه . وما ذا غير اللهو والحب للأمير مترف اجتمعت لديه كل وسائل الدعة والرفاه مع الشباب المتمرد . ولعل هذا المفهوم للشعر من ألصق المفاهيم بحياة الشاعر، خلجات نفسانية تدغدغ كيانه العايب المنطلق وراء المتعة . وماذا ننتظر من شاعر أمير؟ أننتظر صدى الكادحين وانات الضعفاء ، أم صرخات الفقر والتسول ؟ هذا هو مضمون شعر الشاعر، أما شكله فلم يكن أقل رقة من ضحكات جواريه ، وهمسات أوتار عيادانه، ولون خمرته في لياليه الصاخبة ، وخمريات تميم تذكرنا بخمريات أبي نواس، بل تكاد تكون صورة مصغرة من هاته الخمريات، عشق الخمرة وأحبها فوصف جزئياتها ، وتفنن بمجالسها . أحبها كالنواصي حبا ماديا لا صوفية فيه، ولا روحية ولا مواربة أو تستر، انه الأمير الشاعر الأمر الناهي :

لا أبالي إذا شربت ثلاثاً أي قاض بالجور يقضي علياً (1)
 فلسفة الشاعر واضحة : المادية البحتة ، والتمتع بما وفر
 الله ، وأفاء عليه ، فالعيش عنده كما هو عند النواصي ، خمرة
 وقيان ، ودندنة أوتار :

قم يا نديمي ها تهـا حمراء ترمي بالشرر (2)
 ما العيش الا بالسلام وبالقيان وبالتوتر
 وإذا عزف النواصي على الوقوف بالاطلال، و وصف النساء ،
 وجعل صفاته لابنة الكرم، فان عيش تميم قصره على المدام ،
 وأصوات الجواري والقيان التي تؤلف مجموعة صوتية متجانسة
 مع بعضها ، تضيء الليل وتقصر أبعاده المملة :

ما العيش الا مع التهجد والدلج أو المدام وصوت الطائر الهزج (3)
 والشرب بين الغواني والقيان معا فان أوجهها تغني عن السرج
 والخمرة لا تلذ الا من يد جارية قال فيها النواصي :

تسقيك من طرفها خمرا ومن يدها خمرا فمالك من سكرين من بد
 وقال فيها تميم :

وكأساً مثل عين الديك صرفا وماء المزن بالشهد الجنبي (4).
 يطوف بها مليح ذو دلال مريض الطرف ذو خلق رضي
 شربت على مدامعه مداماً كماء المزن والمسك الزكي

1 (خريدة القصر وجريدة العصر للاصفهاني / 186 .

2 (نفس المرجع ص / 187 .

3 (خريدة القصر وجريدة العصر للاصفهاني ص / 170 .

4 (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ص / 186 .

والمرأة نوع من الخمرة عند الشاعر ، بل صنف جيد منها ، كل شيء فيها يذكره بالقدح وأنفاس السدن . وتتضح مادية الشاعر في التهالك على اللذة والاكتثار من استفراغ جسمه بالمعاشرة والجماع (1) كما روي ابن عذارى المراكشي . وكثيرا ما تتساوى الخمرة والمرأة ، فيعيش الشاعر وسط شطحات شهوانية لا يميز فيها بينهما ، كل له مغنطيس خاص وجاذبية متميزة ، وكلاهما في حاجة إلى الآخر ، لذلك احتار الشاعر في أيهما المسوغ لصاحبه :

وخمر قد شربت على وجـوه اذا وصفت تجل عن القياس
خلدود مثل ورد في ثغـور كـادر في شعور مثل آس
إنها الشهوة العارمة ، والتكالب على المادة واللذة المزدوجة التي يملكها ولا يعرف مصدرها الحقيقي ، أهي المرأة أم الخمرة ، أم تكاملهما الدائم :

وأسقيه من كأسى واشرب فضله فينهل من فيه ومن فيه أمزج
هو الخمر إلا أنه خمر مرشف يمج به الشجر النقي المفلج
وقل ان نجد قصيدة غزلية لا تقرن بالخمرة ، ومن هنا تظهر لنا حياة الشاعر الخاصة ، حياة القصر بمتعه وعيشه ، حياة حاول سترها عن شعبه ففضحه احساسه الشعري .

اختار تميم الأنماط المحببة في الشعر التي تداعب الوجدان وتفجر الشهوة ، وقلل من الفخر والحروب والغزوات ، لان

(1) البيان المغرب لابن عذارى ص / 347 .

الأمير الشاب يقدم على هذه المعارك كارها، ويخرج منها حامدا
الله على السلامة، فكيف يستعيد ذكرياتها الدامية؟ لذلك لا تروى
له إلا مقطوعات متفرقة في الفخر والحروب لا قيمة لها فنيا .
لعل هذا يرهق مزاج الشاعر الملكي المدلل رغم ما اشتهر به
من قسوة وسرعة في قمع الثورات ، ودراية في مسك مقاليد
الحكم التي تداعت في عهد أبيه بالزحف الهلالي المدمر،
ولولا المهدية التي اعتصم بها الشاعر لذهب ملك بني زيسري،
وانزاح عهد الصنهاجيين في تلك الفترة المحرقة من تاريخهم .

والمنتخبات التونسية - أو مجمل تاريخ الأدب التونسي -
تروى للشاعر مقطوعات سياسية هادفة، أما بقية المجاميع فتكاد
تهمل هذه الناحية، وتقتصر على الألوان التي ظهرت فيها براعة
الشاعر . والالتقاء بين الشاعر وأبي نواس ليس من باب الصدفة
أو العفوية التلقائية، بل يظهر لنا انه مدروس ومقصود ، فالأمير
يعجب بنزعة النواصي . . يعجب بخمرياته التي تجمع إلى
الزندقة المحرقة خفة الروح ، مما جعله يتغاضى عن هنات
أبي نواس، ويغفر له تمرده الدائب ضد الدين والتقاليد لظروف
حياته المتعبة، ولأسلوب تربيته الذي لا دخل له فيه ، فكانت
خمريات أبي نواس مثالا أمام الشاعر يقرأ ويتأثر به ، ولربما مر
بفترة المحاكاة والتقليد، قبل أن يصل إلى ذلك النضج وجودة
الإستيعاب .

وقد ختم أبو نواس حياته اللاهية بتوبة و ورع بعد وصوله
سن الشيخوخة وعوده عن مسارح اللهو، لا لعفة في نفسه التي

ما زالت جائعة لاهفة ، لكن لنذير الموت والخوف من عذاب الآخرة فتوجه إلى ربه السند الأخير بهذا الدعاء الذكي الذي لا يتضرع فيه بقدر ما يحتاج :

يا رب ان عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم ان كان لا يرجوك إلا محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم هذه حالة أبي نواس في سنواته الأخيرة : ضعف وشيخوخة ويأس ورجوع إلى الله ، لا لظاهر المسكنة ، بل لطلب نصيبه من الغفران ، إشارة إلى نظرية الجبر والاختيار .

أما تميم بن المعز فقد وصل إلى سن السبعين وهي سن اليأس والتفوق والانكماش ، وأوهنه المرض كما روى ابن عذاري حيث أصيب بجفاف الأعضاء واستهلاك البدن ، فرجع إلى ربه رجعة أبي نواس كأنه أراد تقليده حتى في التوبة وطلب العفو والغفران ، بل وفي التفعيلة والبحر . إذا كان عذر أبي نواس ان الله مجبر على العفو لان العبد الضعيف لا يملك حتى افعاله ولا ملاذ له الا الله ، فان «تميم» يتمسك بالشهادتين كأنه يشير إلى قول الرسول «ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك ... فكأن الشهادتين هما جواز المرور للجنة ، وصك الغفران :

فكرت في نار الجحيم وحرها يا ويلتاه ولات حين مناص فدعوت ربي ان خير وسيلتي يوم المعاد شهادة الاخلاص

البناء الخفيين

من المؤسف ان لا نطلع للشاعر على قصائد شاملة حتى نناقش بناءه كما حاول صياغته . وكل الذي بين أيدينا مقطوعات قد تطول وقد تقصر إختارها مؤرخو الأدب القدامى . أما الديوان فلم نعر عليه ولعله لم يطبع إن لم يكن مفقودا، غير أن ابن عذارى يؤكد كبر حجم الديوان وشهرته ناعتا الشاعر بأنه « أحد فحول الشعراء الملوك من ذوي السبق في معانيه وبدائع حوى فيه الجودة والكثرة، وله ديوان شعر مشهور (1) » . واناقة الشاعر قد لا تظهر في لباسه الملكي الثمين فقط، بل تظهر حتى في شعره، وهي أبقى وأخلد . فتميم أنيق العبارات، يحسن الانتقاء، ويمرر كلمات شعره على حاسته الفنية الجيدة . فشعوره بالكلمات هو الذي أضفى على شعره هذا الرونق الخاص الذي لا نجده في عصره : انتقاء الموسيقى، وحضرية المعاني . وأول ظاهرة في شعره تركيزه الواضح على محور خفيفة اشتهرت بموسيقاها الهادئة في الشعر العربي، وشغف بها شعراء الفترة العباسية باعتبارها لونا من التجديد، لان القدامى لم يحفلوا بها كثيرا : كالمجزوءات،

1 (البيان المغرب لابن عذارى ص / 436 .

والمشطور وبحور الكامل والمتقارب وقد امتازت بتكرار التفعيلة وتجانسها، مما حببها لدى الشعراء وقربها من الأذان الموسيقية

ولاشك أن «تميم» اختار هاته البحور لسهولة أدائها لدى الغناء، وهو المغمم بالغناء والموسيقى وأصوات القيان التي تعجبها قصوره.

ولحرص الشاعر على الموسيقى لا يكتفي بالقوافي العادية وإنما يعتمد إلى القوافي الوسطية، فلكل تفعيلتين قافية موحدة وهذا النوع من البراعة البديعية سماه الاقدمون ترصيعا، وهو يشبه السجع النثري، غير أنه يصاحب الشعر فقط :

بنبل الجفنون وسحر العيون وميل الغصون كميل الرماح (1)
ولمع الثغور وبيض النحور وضيق الخصور وجول الوشاح
وورد الخدود وهيس القلود وضم النهود ولثم الاقحاح
وكأس المدام غداة الغمام يلف الغمام فراح براح

وقصائد الشاعر تعد انموذجا للترصيع في العصر الصنهاجي ويظهر تميم صناعا صائدا بديع يحفل باللفظ أكثر منه بالمعنى وقصائده معرض للزخارف البلاغية، وكأننا بالشاعر حرص على التزويق الشكلي ولم ينتبه للمعنى، وعد الأبيات الشعرية معروضات يزدان بها قصره، وقد سبب له هذا ارتباكاً وغموضاً في المعنى، بل وتكلفنا أحيانا، كما يظهر في الأبيات السابقة في «يلف الغمام» لا معنى لها في البيت . و«جول الوشاح» حشر فرضته القافية، والكناية التي تذوقها الشاعر أكثر من المرأة.

1 (الخريدة للصفهاني ص 170 .

وقد يلجأ الشاعر إلى الغريب جرياً وراء القافية متناسياً المعنى :
كان الرحيق يكن العشيقي نظام العقيق بجيد السرداح
والرداح المرأة الثقيلة الأوراك، والكلمة ظاهرة التكلف
وكيف يتأتى وجود امرأة يجول وشاحها خفة ورشاقة وهي مع
ذلك ثقيلة الأوراك .

ومن عشق الشاعر للتشابه نلاحظ العنت المزري في اقتناصه
حتى وصل به أحياناً إلى التعسف والتعنت وقلة الذوق، من ذلك
تشبيه الريحان والزهور المفتحة برأس الراهبة الشمطاء، وليتها
كانت راهبة . فقد اختار أقبح تشبيه وأبعده على صفاء الذوق،
فنحن نشعر بهيبة الدين ووقاره في موضع غير مناسب ونشعر إلى
جانب هذا برأس اشمط لا ندرى ماذا يوحي للإنسان ؟ .

ومجلس فيه ريحان وفاكهة تظل تلهو به حيناً وتغيبط (1)
كان سوسنه المبيض حين بدا رأس لراهبة يبدو بها الشمط
وفرص الشاعر تبدو أحياناً محدودة في اختيار الجيد من
التشابه يكدها بلا روية، وينجري وراءها كأنها كشف كبير :
وخمر قد شربت على وجنوه إذا وضعت تجل عن القياس
خددود مثل ورد في ثغور كدر في شعور مثل آس ،

فالمقطع « كدر في شعور مثل آس » صورة محشورة بقسوة
وسط السبيل الدافق من التصنع، لا علاقة لهذا التشبيه بالصورة

1 (الخريدة للأصفهاني ص / 170 .

الأولى التي تمثل الخمرة في أفخر مجالسها، ووجوه النساء في أبهج زينتها. وإذا سلمنا باحمرار الدر فماذا يمثل الشعر بالنسبة للصورة الأولى؟ تشبيه كل هذا بالآس والريحان لا يخلو من التكلف، لم يراع الشاعر فيه إلا حاسة البريق اللفظي الذي أغراه بالانزلاق وسط هذا الإهمال المعنوي، حاول اصطياد المحسنات لكنها صادته وجعلته عبدا يركع تحت قدميها. ولا نستغرب من تميم هذا الميل إلى الزينة اللفظية وهو الأمير الأنيق الذي يحاول تزيين ذهنه بالصور الفنية كما زين قصره بأنواع المتع، إنها الأنافة وحجب الجيد.

ولا ننس ذوق العصر الذي كان ينحدر نحو الاعتصام بالمواقع البلاغية في الشرق والغرب: نشأت المقامات والرسائل، وغالى الأدباء في ميولهم البديعية التي أزرت بالأدب العربي، وكانت جنابة على الأدب، ومهد زعماء التصنيع والتكلف لهذا العصر من بديع الزمان الهمداني والخوارزمي، إلى صاحب بن عباد وابن العميد، فكانوا ارهاصا صادقا لعصر الصنعة الممجوجة، والتكلف الضيق، المحشور في قوالب الالفاظ، وفي عصر تميم نشأت المقامة الحريرية والطريقة الفاضلية في مصر، أنشأها القاضي الفاضل وقد «عنى بأنواع البديع عناية عظيمة وألح على التورية والجناس فوق في الغموض وتعقد انشاؤه ووافق ظهور طريقته جمودا في الافكار وحدا من الانطلاق الأدبي (1).

(1) أدباء العرب في العصر العباسي بطرس البستاني ص 425.

غير أن «تميم» لم ينحدر إلى هذا الوحل، لأن شاعريته أثبت
أن تنضرع فكان شعره - رغم الصنعة المبالغ فيها أحيانا - ظاهرة
جميلة أنيقة الألفاظ مختارة الصور، وهي قريبة من ذوق الشاعر
وإحساسه، قريبة من القراء على اختلاف مشاربهم وأهوائهم.

المراجع

- 1 - وفيات الأعيان ابن خلكان
- 2 - هامش الحلة السراء تحقيق حسين مؤنس
- 3 - الحلل السنسية في الاخبار التونسية الوزير السراج
- 4 - البيان المغرب ابن عسار
- 5 - المؤنس في أخبار افريقية وتونس ابن أبي دبنار
- 6 - نريدة القصر وجريدة العصر العماد الاصفهاني
- 7 - اللخيرة في محاسن أهل الجزيرة ابن بسام
- 8 - زهر الآداب وثمر الألباب ابراهيم الحصري
- 9 - أدباء العرب في الاعصر العباسية بطرس البستاني
- 10 - مجمل تاريخ الأدب التونسي ح. عبد الوهاب
- 11 - الموسوعة الاسلامية ..

منتخبات

الخمريات

بَنبَلُ الْجَفُونِ

بَنبَلُ الْجَفُونِ، وسحر العيون
ولَمَعَ الثُّغُورُ، وبيض اللُّحُور
وورد الخدود، وميس القُدُود
وكأس المدام، غداة الغمام
كَانَ الرِّحِيقُ بِكَفِّ العَشِيقِ
على المستهام، خايف الغرام
وميل الغصون، كمثل الرِّمَاح
وضيق الخصور، وجول ألُوشَاح
وضمَّ التهود، ولثم الأَقَاح
بكفِّ الغلام، فراح بِرَاح
نظام العقيق، بعجيد الرِّدَاح
فما في السلام، له من جُناح

* * *

وقوله من خمرة أخرى :

لِللَّهِ لَيْلَتُنَا وَنَحْنُ نُدِيرُهَا
كَأَسَا مَعْتَقَةً مِنَ الْخُرُطُومِ
وَالطُّبْلُ يَخْفِقُ وَالْمَزَامِرُ حَوْلَهُ
تَتَخَالَفُ الْعِيدَانُ فِي الْمَزْمُومِ (1)
فَلَثْنُ صَبَوْتُ فَقَدْ صَبَا أَهْلُ النَّهَبِ
وَلَثْنُ هَفَوْتُ فَلَسْتُ بِالْمَعْصُومِ

* * *

(1) المزموم : مقام من المقامات الموسيقية بالبلاد المغربية ، وفي عرف أهل المشرق هو نوع من الجاهركة .

وقال أيضا :

اسقياني فلست أصغي لِعَذْلِ
أطيع العذول في ترك ما أهوى
عَدْلَانِي بها فقد أقبل الليل
وانجلي الغيمُ بعدما أضحك الرو
ليس إلَّا تعلَّة النفس شغلي
كأنني اتهمت رأيي وعقلي
كلون الصدود من بعد وضل
ض بكاء السحاب جاد بوبلي
في سماء كأنها جام ذبلي
عن هلال كصولجان نضار

* * *

وقال أيضا :

رُبَّ صفراء عَدَّتْنِي بصفرا
بين ماء ورضة وكروم
تمثني به الغصون علينا
وكان الدُّجى غدائرُ شعر
ء وجنح الظلام مُرخي الإزار
ورواب منيفة وصحار
وتجيب القيانُ فيها القماري
في يد الأفق مثل نصف سوار
وانجلي الغيمُ عن هلال تبدى

* * *

وقال أيضا :

وزنجية الآباء كَرُخِيَّة الجلب
كُمَيْت بَزَلْنَا دَنَهَا فَتَفَجَّرَتْ
عَنَابِيَةِ الانفاس كَرَمِيَّة النَّسب
بأخمرٍ قَانٍ مثل ما قَطَرَ الذَّهَبُ
فلما شربناها صبُونَا كَأَنَّنَا
شربنا السرور المحض واللَّهُو والطَّرَبُ

ولم نأت شيئا يسخط المجد فعلُهُ
 سوى أننا بعنا ألوقار من اللعيب
 كأن كؤوس الشرب وهي دوائر قطائع ماء جامد تحمل اللهب
 يمدُّ بها كفًا خضيبا مديرها وليس بشيء غيرها هو مختضب
 فبتنا نسقى الشمس والليل راكد ونقرب من بدر السماء وماقرب
 وقد حجب الغيم الهلال كأنه ستارة شرب خلفها وجه من أحب
 كأن الثريا تحت حلقة لونها
 مداهن بلور على الأرض تضطرب

* * *

وقال :

كأن السحاب الغرّ أصبحن أكؤسا
 لنا وكأنّ الرّاح فيها سنا ألبرق
 إلى أن رأيت النجم وهو مغرب
 وأقبل رايات الصباح من الشرق
 كأنّ سواد الليل والصبح ضالّ مع
 بقايا مجال الكحل في الأعين الزرق

* * *

وقال :

ألا فاسقيانسي قهوة ذهبيّة
 فقد ألبس الآفاق جنح الدجى دعج

كَأَنَّ الشَّرِيَا وَالظَّلَامَ يَحْفَهُـا
فَصُوصَ لُجَيْنٍ قَدْ أَحَاطَ بِهَا سَبْجُ
كَأَنَّ نَجُومَ اللَّيْلِ تَحْتَ سَوَادِهِ
إِذَا جَنَّ زَنْجِي تَبَسُّمٍ عَنِ فَلَجِ

* * *

عُتِبْتُ فَاثْنَىٰ عَلَيْهَا الْعُتَابُ

عُتِبْتُ فَاثْنَىٰ عَلَيْهَا الْعُتَابُ وَدَعَا دَمْعٌ مَقْلَتِيهَا اِنْسِكَابُ
وَضَعْتُ نَحْوَ خَدَّهَا بِيَدَيْهَا فَالْتَقَى الْيَاسْمِينَ وَالْعُنَابُ
رُبُّ مُبْدِي تَعْتَبُ جَعَلَ الْعُتْبُ رِيَاءٌ وَهَمُّهُ الْإِغْتَابُ
فَاسْقِنِيهَا مَدَامَةَ تَصْبِغُ الْكَأ سَ كَمَا يَصْبِغُ الْخُدُودَ الشَّبَابُ
مَا تَرَى اللَّيْلَ ! كَيْفَ رَقَّ دُجَاهُ

وَبَدَأَ طِيلَسَانُهُ يَنْجَسُابُ
وَكُنَّ الصَّبَاحُ فِي الْأَفْقِ بَازٍ وَالذُّجَى بَيْنَ وَخَلْبَيْهِ غَرَابُ
وَكُنَّ السَّمَاءُ لُجَّةً بِحَرٍّ وَكَانَ النُّجُومُ فِيهَا حَبَابُ
وَكُنَّ الْجُوزَاءُ سَيْفَ صَقِيلٍ وَكَانَ الذُّجَى عَلَيْهَا قِرَابُ

* * *

وَقَالَ أَيْضًا :

نَقَبْتُ وَجْهَهَا بِخَزٍّ وَجَاءَتْ بِمُدَامٍ مَنْقَبٍ بِزَجَاجِ
فَتَأَمَّلْتُ فِي النَّقَابِينَ مِنْهَا قَمْرًا طَالَعًا وَضُوءَ سِرَاجِ
فَاسْقِينِي بِلَا مِزَاجٍ فَاثْنَىٰ فِي الْمَعَالِي صِرْفٌ بِغَيْرِ مِزَاجِ (1)
وَانْظُرِ الْأَفْقَ كَيْفَ بَدَّلَهُ الْإِضْدَ بَاحٌ مِنْ بَعْدِ أُنُوسٍ بِعَاجِ

(1) مزاج الشراب : ما يمزج به

الغزل

ورد الخدود

ورد الخدود أرقُّ من
هذا تنشقّه الأنسو
وإذا عدلتَ فأفضل الـ
لا ورد إلا ما تولّى
هذا يضمُّ ولا يضمُّ
سبحان من خلق الخدود
وأعارها الاصداغ فهى
واستنطق الاجفان فهى
وثبين للمحبوب عن
وتشير ان رأت الرقيب
وأعارها مرضاً تصح
فتن العيون أجل من

ورد الرياض وأنعم
فُ وذا يقبله الفم
وردن ورد يلثم
صبغ حمرة الدم
وذا يضم ويشم
د شقائق تنسّم
بها شقيق يغلّم
بلحظها تتكلّم
سرّ الحبيب فيفهم
بلحظها فيسلّم
به القلوب وتسقم
فتن الخدود وأعظم

* * *

وقال :

إن كانت الألفاظ رسل القلوب
قبّلت من أهوى بعيني ولم
لكنّه قد فطنت عيني
ان كان علم الغيب مستخفيا

فينا فما أهون كيد الرقيب
يعلم بتقبلي خد الحبيب
يلحظ عيني فطنة المستريب
عنا فعند اللحظ علم الغيوب

عقرب الصدغ ...

عقرب الصدغ فوق تفاحة الخد لئ نعيم مطرز بعذاب
 وسيوف اللحاظ في كل حين مانعات جنى الثنايا العذاب
 وعيون الوشاة يفسدن بالرقة بة والمنع رؤية الأحباب
 فمتى يشتفي الحب وتطفئ بالتداني حرارة الإكتئاب

* * *

أعذل قلبي

أعذل قلبي وهو لي عــــاذل
 وأعصى غرامي وهو ما بين أضلعي
 ومن لي بصبر أستزيل به الجوى
 ولا جلدي طوعي ولا كبدي معي
 فأول شوقي كان آخر سلوتي
 وآخر صبري كان أول أدمعي

ترى عذاریه قد قاما بمعذرتي

ترى عذاریه قد قاما بمعذرتي عند العُدُول فيغدو وهو يعذرني
 رِيمٌ كَانَ لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ
 عقدا من الحُسْنِ أو نوعا من الفتن
 كَانَ جَوْهَرَهُ مِنْ لَطْفِهِ عَرَضٌ فليس تحويه إِلَّا أَعْيُنُ الْفُطُنِ
 أَخْفَى مِنَ السَّرِّ لَكِنْ حُسْنُ صُورَتِهِ
 إِذَا تَأَمَّلْتَهُ أَبْدَى مِنَ الْعَلَمِ
 وَاللَّهُ مَا فَتَنَتْ عَيْنِي مُحَاسِنُهُ
 إِلَّا وَقَدْ سَحَرَتْ أَلْفَاضَهُ أَذْنِي
 مَا تَصَدَّرُ الْعَيْنُ عَنْهُ لِحَظْهَا مَلَأَ
 لِأَنَّهُ كُلَّ شَخْصٍ مَرْتَضًى حَسَنٍ
 يَا مُنْتَهَى أَمَلِي لَا تُدْنِ لِي أَجَلِي
 وَلَا تَعَذِّبْ ظَنُونِي فَيْكَ بِالظَّنِّ
 إِنْ كَانَ وَجْهَكَ وَجْهًا صَبِيغٌ مِنْ قَمَرٍ
 فَإِنَّ قَدَّكَ قَدْ قَدْ مِنْ غُصْنٍ

* * *

الايانسيم الريح

ألا يا نسيم الريح عرّج مسلّماً
على ذلك الشخص البعيد المودّع
وهبّ على من شَفَّ جسمي بعباده
سُموماً بما استمليت من نار أضلعي (1)
فان قال ما هذا الحرورُ فقل له :
تَنفُسُ مشتاقٍ بحبك مُوجّع (2)

* * *

قالوا الرحيل نحمة

قالوا الرحيل لخمة	تأثي سريعا من جمادى
فأجبتهم أني اتخذ	ت له الأسى والحزن زادا
سبحان من قسم الأسى	بين الأجنة والعبادا
وأعار للأجفان حسنا	تسترق به العبادا

(1) السموم : الريح الحارة تكون غالبا بالنهار

(2) الحرور : الريح الحارة بالليل

الغرض (الغرض)

شكوى الزمان

وذي عجب من طول صبري على الذي
الآقي من الارزاء وهو جليـل
يقولون ما تشكو فقلت متى شكا
شبا السيف غضب الشفرتين صقيل
وان امرءا يشكو إلى غير نافـع
ويسخو بما في نفسه لجهـول
عذابي أن أشكو إلى الناس انني
عليل ومن أشكو إليه عليـل
سأسكت صبرا واحتسابا فإنني
أرى الصبر سيفاً ليس فيه فـلـول

* * *

وصف منافق سارق

رأيتك قاعداً عن كل خير
وأنت الشهم في قالوا وقلت
وأطوار لها لطف وحـ
والفاظ تنمقها وسمت (1)
وثقت إليه من حسب وبيت
ولولا ذلك منه لما وثقت
وقد يعد الوعود وليس يوفى
وليس بقائل يوما فعلت
كخز الماء فوق الماء طاف
يروق وماله أصل ونبت
كذلك زهرة الدفلى تراها
تشوق العين حسنا وهي سُخت (2)

* * *

(1) تنمقها : تحسنها وتزينها
(2) سُخت : خبت

مَتَى كَانَتْ دِمَاؤُكُمْ تَظُلُّ

مَتَى كَانَتْ دِمَاؤُكُمْ تَظُلُّ أَمَا فِيكُمْ بَثَارُ مُسْتَقْبَلٍ
أَغَانِمِ ثُمَّ سَالِمٍ أَنْ فَشَلْتُمْ فَمَا كَانَتْ أَوَائِلُكُمْ تَذَلُّ
وَنَحْمَتُمْ عَنْ طِلَابِ الْمَجْدِ حَتَّى كَأَنَّ الْعِزَّ فِيكُمْ مَضْمُوحِلٌ
وَمَا كَسَرْتُمْ فِيهِ الْعَوَالِي وَلَا بِيضُ تَفَلُّ وَلَا تُسَلُّ (1)

* * *

بَكَرَ الْخَيْلِ دَامِيَةَ النُّحُورِ

بَكَرَ الْخَيْلِ دَامِيَةَ النُّحُورِ وَقَرَعَ الْهَامَ بِالْقَضْبِ الذِّكُورِ (2)
لَا تَقْتَحِدْنَهَا حَرْبًا عَوَانِيَا يَشِيبُ لَهْزُولَهَا رَأْسَ الصَّغِيرِ
فَلَمَّا الْمُلْكُ فِي شَرَفٍ وَعِزٍّ عَلَيَّ التَّاجِ فِي أَعْلَى السَّرِيرِ
وَأَمَّا الْمَوْتُ بَيْنَ ظُبَى الْعَوَالِي فَلَسْتُ بِخَالِدٍ أَبَدَ الدَّهْرِ

(1) العوالي : الرماح

(2) الهام : الرؤوس

القضب : السيوف

ما اختلف الصبح والمساءُ وأنفِذَ الحُكْمُ والقَضَاءُ
ألا واللهِ فيه ســــرٌّ يحكم في الخلق ما يشاءُ

* * *

وقال حين حضرته الوفاة:

فكَّرتُ في نار الجحيم وحرَّها يا ويلتاه ولات حين مناص
فدعوت ربي ان خير وسيلتي يسوم المعاد شهادة الاخلاص

* * *

أبو القاسم الفزاري

الأرضية الحضرية لعصر أنبي التاسم الفزاري

1 - الصراع المذهبي والسياسي

في المجتمع الافريقي ذي الصبغة الاسلامية ، كانت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، ثلاثة مذاهب اسلامية تتصارع : الشيعة ، والسنة ، والخوارج .

أ - الشيعة:

الشيعة في الأصل حزب سياسي يطالب بارجاع الخلافة إلى علي بن أبي طالب زوج فاطمة بنت الرسول (ص) . وبما أن فاطمة هي الوارثة الوحيدة لأبيها فقد كان من الطبيعي أن يتشبث زعماء هذا المذهب بهذه القرابة وهذه الوراثية فلذلك قالوا انهم هم الفاطميون . وفضلوا هذا الاسم على العلويين أو الطالبيين أو الشيعة ، بصفة عامة فيقول ابن هانيء .

أبناء فاطم هل لنا في حشرنا لجأ سواكم عاصم ومجار ؟
أنتم أحباء الله وآله خلفاؤه في أرضه الأبرار

أهل النبوة والرسالة والهدى في البيئات وسادة أطهار (1) في حين يرى السنيون أن الأنبياء لا يورثون ، فما يخلفونه يوزع على المجموعة هبة وصدقة . وبالتالي فلا حق لعلي في خلافة الرسول السياسية على الأمة الإسلامية . وإنما يبايع الخليفة من بين الصحابة قاطبة ، وعلى هذا الأساس تم انتخاب أبي بكر ثم عمر ثم عثمان فعلي قبل أن ينتهي الأمر إلى ملوكية وراثية على يد بني أمية .

على أن الحركة الشيعية - رغم ما ألحق بها من تعسف واضطهاد - ظلت طيلة القرون الثلاثة الأولى ، تواصل دعايتها ، علانية تارة وسرياً طورا آخر . وكانت أول ثورة ناجحة يقومون بها هي ثورة الداعي أبي عبد الله في قبائل (كتامة) فأطاح بالحكم الأغلبي في معركة (الأريس) سنة 296 هـ 909 م ومهد لمولاه «عبيد الله المهدي» الذي انتقل سرا من «سلمية» في جنوب حمص مركز الدعوة بالشام إلى سجلماسة بأقصى جنوب المغرب (2) . وبذلك قامت الدولة العبيدية الشيعية ، وانتصب عبيد الله المهدي برقادة سنة 297 هـ 990 م ، فدامت به إلى سنة 362 هـ 973 م وهو تاريخ انتقال المعز رابع الخلفاء الفاطميين إلى القاهرة . إلا أنه ينبغي أن نشير إلى أن ظهور العبيديين كان يعني ظهور عامل جديد في حياة افريقية وفي تأكيد الصراع الذي كان يهزها من جميع الأطراف فأهل افريقية مالكية خلص اعتنقوا

(1) ديسوان ابن هانيء ص 365 - 378

(2) صبح الأعشى للقلقشندي .

المذهب المالكي وتعصبوا له وأخذوا ينظرون إليه وكأنه جزء من قوميتهم ، والعيديون شيعة همهم التمكن والقضاء على المناهضين . من هنا كان على أرض افريقية أن تواجه صراعا حادا بين الشعب وحكامه . (1)

ب - السنة :

السنة لغة تعني الطريقة أو المنهج ، وهي اصطلاحاً اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله - غير أن اللفظة اكتسبت على مر الزمان معنى آخر فأصبحت تعني : المجموعة الاسلامية التي تتبع أحد المذاهب الأربعة التي استنبطت من القرآن وسنة الرسول الواردة في الكتب الستة (2) ، جملة الأحكام والقضايا والحلول التي تنظم حياة المسلم في ميداني العقائد أو العبادات والأمور الاجتماعية أو المعاملات . وهذه المذاهب الأربعة هي :

- المالكية : نسبة إلى مالك ابن أنس الذي روى عن أهل المدينة الذين حفظوا سنة الرسول أي عمله وأقواله ولذلك يعتبر اتباع هذا المذهب أنفسهم أقرب المسلمين إلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم

- الحنفية : نسبة إلى أبي حنيفة النعمان العراقي الذي زاد على تمسكه بسنة الرسول استخدام العقل والرأي في استنباط الأحكام التي لم يرد في شأنها نص صريح .

(1) طبقات علماء افريقية وتونس تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي ص 12

(2) سنن ابن ماجه - سنن الترمذي - مسند ابن حنبل - سنن ابن داود - الصحيحان

- الحنبلية : نسبة إلى أحمد ابن حنبل الذي كان يرفض استعمال الرأي والقياس ولا يصدر في أحكامه إلا عن القرآن والسنة .
 - الشافعية : نسبة إلى الإمام الشافعي الذي كان وسطا بين المالكية والحنفية وتجدر الإشارة إلى أن هذه المذاهب الأربعة كانت تجمع الجمهور الأكبر من المسلمين لذلك أدرجت اصطلاحا في ما عرف بمذهب السنة، وما عدا ذلك من المذاهب فأطلق عليها « فرقا » أو « نحلا » أو « مللا » باعتبار أنها منفصلة عن الجمهور .

ونستثنى من هذه المذاهب مذهب الخوارج الذي اعتبره بعضهم مذهباً خامساً لقربته من المدارس السنية .

أما المذهب السائد بإفريقية في القرن الرابع الهجري - وهي الفترة التي تعيننا - فهو المذهب المالكي . وقد كان سحنون التلموخي (1) هو الذي « علم أهل المغرب المذهب المالكي ولقنهم » المدونة » فحارب أهل البدع والضلالات وأخفت كل صوت مارق وكل نزعة عقلية، ومنع دروس الأباضية والصفيرية والمعتزلة التي كانت تلقى بجامع عقبة وعزل أصحابها عن تعليم الصبية وحرّم المناظرة في غير المذهب المالكي . ولأنّ الحالة النفسية لأهل المغرب كانت مستعدة لرفض كل دعوة أو اتجاه لا يقف عند أصول الشرع نتيجة للثورات المتكررة التي قام بها أهل الفرق من شيعة وخوارج وغيرهم، فقد اثمرت

(1) مولده سنة 160 هـ ووفاته سنة 240 هـ

فيهم استاذية «سحنون» وأصبحوا ينظرون إلى المالكية وكأنها جزء من قوميتهم، فهي أمنهم ودرعهم الواقى من كل فتنة أو تمرد (1).
ويظهر الفقهاء والشعراء في هذه الفترة كقوة سياسية تناهض الدعوة الفاطمية الشيعية فنرى أبا القاسم الفزاري يتحامل على العبيديين مستنكرا منهم تقديسهم لأئمتهم واعراضهم عن فتاوى الشيخين، متمنيا لهم الهزيمة على يد أبى يزيد مخلد بن كيداد النكاري :

عبدوا ملوكهم وظنوا أنهم نالوا بهم سبب النجاة عموما (2)
وتمكن الشيطان من خطواتهم فأراهم عوج الضلال قويها
رغبوا عن الصديق والفاروق في

أحكامهم لا سلموا تسليما
واستبدلوا بهما ابن أسود نابجا وأبا عمارة واللعين تيمما
يا رب فالعنهم ولق لعينهم بأبى يزيد من العذاب أليما
ونراه في موضع آخر يفتخر بالقيروان التي أسسها أصحاب
بدر ويفضلها على بغداد التي أسسها أمير :

فهل للقيروان وساكنيها عديل حين يفتخر الفخور (3)
بلاد حشوها علم وحلم واسلام ومعروف وخير
عراق الشام بغداد وهذي عراق الغرب بينهما كثير
لست أقيس بغداد إليهما وكيف تقاس بالسنة الشهور

(1) طبقات علماء إفريقية وتونس - تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي . ص 14 - 15
(2) حوليات الجامعة التونسية - العدد العاشر - محمد اليعلاوي . ص 126 - 127
(3) مجمل تاريخ الأدب التونسي ح عبد الوهاب ص 86 - 87 .

بلاد خطها أصحاب بدر وتلك اختط ساحتها أمير
بناها المستجاب (1) وقد دعا في جوانبها دعاء لا يبور
بناها كل بدري كريم كأن صفاح أوجههم بدور

ج - الخوارج :

هم جماعة من أصحاب علي بن أبي طالب ، استنكروا منه قبوله للحكيم بينه وبين معاوية فانشقوا عنه وتركوه قائلين : «أن لا حكم إلا الله» وقد قاومهم علي على مضض فهزمهم في واقعة «النهر» فزاد سخطهم عليهم وشرعوا في تدبير مكيدة يتخلصون بها من الخصوم الثلاثة : علي ومعاوية وعمر بن العاص ، إلا أنه لم يصب من هؤلاء الثلاثة إلا علي صبيحة 17 رمضان 41هـ 661م فقد اعترضه عبد الرحمن بن ملجم في طريقه إلى مسجد الكوفة وضربه بسيف مسموم فقتله ، واستمرت حركة الخوارج في مقاومة الحكم الأموي ثم العباسي فكانت لهم ثورات مستمرة بالعراق وبلاد فارس وأخيرا في افريقية والمغرب .

واشتهر من رجالهم في العصر الأموي « نافع بن الأزرق ونعجة بن عامر و «عبدالله بن أباض التميمي» الذي ما لبث ان انشق عن الازارقة لأنه أبى تكفير المسلمين الذين لا يعتنقون المذهب الخارجي وعارض قتل النساء والاطفال وانتقل مذهب الاباضية إلى افريقية في مستهل القرن الثاني للهجرة فكان من

(1) يعني بالمستجاب الصحابي عقبة ابن نافع مؤسس القيروان ، وأول من اختط بها هو مسجدها المشار إليه هنا .

زعمائها : عبد الرحمان بن رستم » وأبو الخطاب عبد الأعلى المعافري الذي صار أول إمام للدولة الاباضية المستقلة عن الخلافة العباسية وذلك سنة 140 هـ 757م بطرابلس ليبيا، وقويت الدعوة الاباضية بانضمام القبائل البربرية الناقمة على الحكام العرب إليهم فاحتلوا القيروان سنة 141 هـ 757م إلا أن هذه الدولة الاباضية لم تعمر طويلا إذ جندت لهم الدولة العباسية أربعين ألفا بقيادة ابن الأشعث بددت جموعهم (1) فالتفت فلولهم حول عبد الرحمن ابن رستم، واعتصموا بالمغرب الأوسط فأسسوا الدولة الرسمية «بتاهرت» جنوب وهران – وتوالت ثوراتهم إلى أن قامت الدولة الفاطمية سنة 296 هـ 909م.

تعاليم الخوارج :

« يرى الخوارج أن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين وإذا اختير فليس يصح أن يتنازل أو يخكم، وليس بضروري أن يكون الخليفة قرشيا ، بل يصح أن يكون من قريش ومن غيرهم ولو كان عبدا حبشيا .

وإذا تم الاختيار كان رئيس المسلمين ، ويجب أن يخضع خضوعا تاما لما أمر الله وإلا وجب عزله (2) فإذا لزم أحكام القرآن فلا يجوز تقييد نفوذه بشروط . ومسألة الشروط هذه هي التي أدت إلى انقسام الاباضية، فخرج عنهم جماعة عرفوا بالنكار وإليهم ينتسب أبو يزيد مخلص بن كيداد صاحب الحمار .

(1) راجع ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار المغرب .

(2) أحمد أمين : فجر الإسلام ص 258 – 259 .

أبو يزيد مخلص بن كيداد النكاري

هو القائد الخارجي الذي ثار على العبيدين بافريقية، يرجح أنه ولد ببلاد السودان، إلا أن الثابت أنه ينحدر من أسرة خارجية اباضية. تلقى المبادئ الاباضية ثم انتصب مؤدبا يعلم الصبيان بتاهرت عاصمة الرستميين. وبعد انهيار الدولة الخارجية التحق بالجريد فاستقر بتوزر وأخذ في مناهضة الحكم العبيدي، وما أن بدأت دعوته تظهر حتى هبت جموع الأنصار تعاضده، فانتقل صحبة شيخه أبي عمار الأعمى إلى جبال الأوراس فاجتمع إليه خلق كثير، فلما أحس القوة، أعلن التمرد والعصيان فاندلعت الثورة سنة 332هـ 943م فاحتل تبسة و «حيدرة» وهناك أهدى إليه الحمار الذي به عرف، ودخل القيروان سنة 333هـ 944م فانضم إليه العلماء والفقهاء الذين كانوا على استعداد لمساندة أي دعوة دينية أو سياسية أو غيرها تناوىء الحكم الفاطمي وتهدف إلى القضاء عليه، فواقعوا الشيعة « ولكن ابن كيداد طلب من جنوده في المعركة أن يتركوا علماء القيروان للاعداء فمات منهم خمسة وثمانون (1) منهم أبو الفضل عياش بن الممسي »

(1) طبقات علماء افريقية وتونس : تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي ص 20 .

«وأبو اسحاق السبائي» وقد رثى أبو القاسم الفزاري شيخه
الممسي بقصيدة منها :

بنفسي صريع حالت الخيل حوله

بمعترك الأبطال أي صريع (1)

ولست له أبكي ولكن لمعشر

أصيبوا به من فرد وجميع

وللعلم والاسلام والدين والتقى وطول احتمال واصطناع صنع

مضى علم العلم الرفيع وطالما أصابت قناة الموت كل رفيع

وقد استمرت ثورة صاحب الحمار إلى سنة 336 هـ 947 م

وهو التاريخ الذي تمكن فيه المنصور بن القاسم الفاطمي

من القضاء نهائيا على أبي يزيد مغلد بن كيداد ، ولم يؤخذ

الخليفة الفاطمي أهل القيروان بمؤازرتهم لصاحب الحمار بل

أظهر من الحلم والحنكة السياسية ما جعله يكسب تأييد

قسم كبير من أهل القيروان .

ويدل على ذلك مدح الشعراء له كأبي القاسم

الفزاري الذي دخل عليه في جملة من استأمن ، وتقرب

إليه بالقصيدة الفزارية بعد أن مدح انتصار صاحب الحمار

بأشعار كثيرة ثلب فيها الفاطميين .

إن هذه الأرضية من الثورات المتتالية والصراع

المذهبي العنيف هي التي عاش على صعيدها أبو القاسم

الفزاري فأنثرت فيه وفي انتاجه بشكل أو بآخر .

(1) مجمل تاريخ الأدب التونسي : ح. ح. عبد الوهاب - ص 87

مصادر

اسمه - أصله :

ذكر حسن حسني عبد الوهاب (1) أنه أحد شعراء القيروان المجيدين بها ولد وفيها نشأ وترعرع وبرع في الأدب واللغة، وأن اسمه أبو القاسم محمد بن عبد الله شهر بالفزاري، ويضيف الأستاذ الدكتور محمد اليعلاوي (2) أن بعض المترجمين له - للفزاري - كالزبيدي (ت 379 - 989) يقولون انه ابن لشاعر نحوي قيرواني اسمه « عامر بن ابراهيم الفزاري » وأن أباه هذا كان عاملا للفاطميين على خراج الساحل الافريقي فهرب بالمال إلى مصر الاخشيدية ويقول أبو العرب في طبقاته أن جده (ابراهيم؟) هو الفزاري المقتول على ما شهد عليه به من التعطيل وكان من أهل الجدل والمناظرة. أه.

ويستنتج الدكتور اليعلاوي أن « شاعرنا على هذا الأساس هو أبو القاسم (محمد) بن عامر بن ابراهيم بن العباس الفزاري القيرواني (3) ».

(1) مجمل تاريخ الأدب التونسي ص 83 - 84

(2) حوليات الجامعة التونسية . العدد العاشر . ص 119

(3) نفس المصدر . ص 119

مولده - نشأته - وفاته :

يقول المرحوم ح. ح عبد الوهاب في ترجمته للفزاري أنه ولد بالقيروان وفيها نشأ وترعرع ولكنه لم يذكر سنة ولادته . ولم يذكر العلوي ولا أي مرجع آخر شيئاً عن حياة الفزاري ونشأته ومهما كان الأمر فالثابت أنه عاصر الأربعة الخلفاء الفاطميين الأول : المهدي والقائم والمنصور والسنوات الأولى من خلافة المعز (1) .

ورغم عدم استشهاده بأي مصدر فقد ذكر ح. ح عبد الوهاب أنه توفي بالقيروان في حدود سنة 345 هـ 956 م .

1 المهدي عبد الله أبو محمد — 297 — 322 — 909 — 934 — م
القائم (محمد أبو القاسم) — 322 — 334 — 934 هـ — 945 م —
المنصور (اسماعيل أبو طاهر) — 334 — 341 هـ — 945 — 952 م
المعز (أبو تميم) — 341 — 365 هـ — 952 — 975 م

شعره ومذهبه

لم يصلنا من شعر الفزاري إلا أربع قصائد ، ثلاث منها في هجاء الفاطميين ، ورتاء شيخه «أبي الفضل الممسي» فلذلك أدرجها أبو بكر المالكي في كتابه «رياض النفوس» (1) أما الرابعة وعرفت بالقصيدة الفزارية - نسبة إلى صاحبها - فتشتمل على مدح خافت للفاطميين ، مسبوق بدرس مطوّل في التغني بمشاهير الجاهلية والاسلام ، من فرسان وأسياد وكرماء ...

ويتجلى لنا من هذا الشعر أن الفزاري شاعر سني ، بل أنه فقيه سني ، فشعره ضعيف الحبكة ، قليل الطلاوة ، عديم الخيال كشعر سائر الفقهاء ، ولا يبلغ شيئاً من القوة والابداع إلا في هجاء الفاطميين حيث يتعرض إلى معتقداتهم مثل تقديس الأئمة :
عبدوا ملوكهم (2) وظنوا أنهم نالوا بهم سبب النجاة عموماً
وتمكن الشيطان من خطواتهم فأراهم عوج الضلال قويماً (3)
ويستنكر منهم كرههم للشيخين أبي بكر الصديق ، وعمر

(1) مجموعة تراجم لعلماء افريقية وزهادها . انظر حوليات الجامعة التونسية ص 120
(2) عبارة ملك مستبحة عند العرب لأنها تحمل معنى الظلم والظفان ، لهذا قال ملسك ولم يقل خليفة .
(3) حوليات الجامعة التونسية : محمد اليعلاوي . ص 126

ابن الخطاب، واعراضهم عن فتاويهم الفقهية، كأن الشيعة لا يعترفون لهما بالقدرة على استنباط الأحكام :
 رغبوا عن الصديق والفاروق في أحكامهم لا سلموا تسليمًا
 تبعوا كلاب جهنم وتأخروا عن أصارهم الالاه نجوما(1)
 إلا أن الفزاري لا يتعرض في هجائه إلى نسبهم الفاطمي،
 بالطن، كما يفعل أهل السنة، بل يكتفي بمؤاخذتهم بكفرهم
 وزندقته، ويتساءل عن حقيقة مذهبهم .

أمن اليهود؟ أم النصراني؟ أم هم
 دهرية جعلوا الحديث قديماً؟
 أم هم من الصابيين، أم هم عصبية
 عبدوا النجوم وأكثروا التنجيماً؟
 أم هم زنادقة معطلة (2) رأوا أن لا عذاب غدا ولا تنعيماً (3)
 وينهي قصيدته بلعنهم معتبراً أنهم محنة ابتلى الله بها
 أهل افريقية .

سبحان من ابلى العباد بكفرهم وبشركهم حقبا وكان رحيماً
 يا رب فالعنهم، ولسق لعينهم بأبي يزيد من العذاب أليماً
 يكمن سر نجاح هذه القصيدة الهجائية في تشبيه الفاطميين
 بالدهرية والزنادقة والمعطلة، وفي التدرج من اليهود والنصارى،
 وهم أهل كتاب إلى الفرق الضالة، كأنه ينزه النصرانية

(1) المصدر السابق . ص . 126

(2) المعطلة عند أهل السنة هم المعتزلة الذين عطلوا صفات الله أي جردوه منها
 بإدماجها في ذاته تعالى .

(3) حوليات الجامعة التونسية : محمد العلاوي - العدد العاشر ص 126

واليهود عن احتضان مثل هؤلاء ... كما يكمن في هذا الاستفهام المتلاحق ، وفي هذا الدعاء عليهم ، والابتهاال إلى الله حتى يضربهم بأبي يزيد ... وإن هذا البيت الأخير يمكن أن يكون خيطاً يقودنا إلى تاريخ القصيدة ، فقد نظمت أيام فتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد ، صاحب الحمار ، حين أوشك حكم ثالث الخلفاء الفاطميين ، اسماعيل أبو طاهر المنصور على الانهيار ، ولعل هذا ما جعل الفزاري يقدم على هجومه بمثل هذا العنف . وقد قدّم أبو بكر المالكي لهذا الهجاء بقوله «لأبي القاسم الفزاري أشعار كثيرة في هجو بني عبيد ... (1) » والراجح أن كراهيته للشيعه هي التي أملت عليه ادراج هذا الشعر في كتابه بيد أنه رغم كثرة هذه القصائد فلم يورد منها الا ثلاث - كما أسلفنا - وأسقط القصيدة الفزارية وربما يكون مرد ذلك لأنها في مدح الخليفة الفاطمي المنصور .

والى جانب هذه الميمية نجد للفزاري قصيدة أخرى ولكنها أضعف لهجة من الأولى بل نكاد نجزم أنها بعيدة عن الهجاء ، إذ كل ما ورد فيها لا يعدو مدحاً للقيروان وأهلها ، وما عرفوا به من تقوى وزهد وصلاح ، وتمسك بالسنة ، الشيء الذي جعلها محل عناية مؤرخي القيروان ، فقد أدرج منها المالكي سبعة وستين بيتاً ، في حين اقتصر الدباغ في «معالم الإيمان» على القسم الخاص بمدح القيروان فقط .

وأياً ما يكون فليس لهذه القصيدة من قيمة إلا بمدحها

(1) المصدر السابق ، ص 126

الصريح للقيروان فالمقدمة طويلة ، ذات أبيات حكمية لا أثر
للإبداع فيها ، كأن يحذر من غرور الدنيا فيقول :
سلامتها وان دامت سقام ونعمتها ، وان دامت غرور
ومرعاها لراغبها وخيم وكثرتها لمكثرها يسير
تسر المرء يوما ثم تغدو . فتسلب ما أتاح له السرور
وان وانتك اقبالا ونعمى فعقبها الفجائع والقبور (1)
ويشير إلى تقلبات الدهر وحتمية الموت وأهوال يوم القيامة :
وان عزيزها عما قليل ذليل ، والغنى بها فقير
وكل مؤمل أمل طويل وعمر لو تؤمله قصير
وبعد الموت أهوال عظام يشيب لبعضها الطفل الصغير
وبعد الموت للأرواح أما نعيم في الكرامة أو سعي (2)
ثم يتعرض الفزاري إلى فتنة أعمت وعمت ، ولا يوضح
قصده ، ويلتبس الأمر فلا ندري أهو يعني الدعوة الفاطمية
الشيعة ؟ أم ثورة صاحب الحمار ؟ ويبتهل إلى الله أن ينجي
أهل القيروان من عواقب هذه الفتنة ، وينطلق بعدها إلى مدح
القيروان والاشادة بعلمائها وزهادها . فيستشهد ببعض أمجادها
وما أثر أهلها ، كأيواء الهاربين من الحرب ، وافتكاك السبايا
من غاصبيهن . ومؤاساة المنكوبين :
هم افتكوا سبايا كل أرض وفادوا ما استبد به المغير (3)

(1) حوليات الجامعة التونسية : العدد العاشر . محمد اليعلاوي . ص 122

(2) المصدر السابق . ص 122

(3) حوليات الجامعة التونسية . العدد العاشر . محمد اليعلاوي ص 123

كفيناها عظامها جميعا فزالتم عنهم تلك الشرور
وسكننا قلوباً خافقات أمات عروقها ضرّ ضرير
وآويننا وواسيننا وكننا لهم أهلاً ، وأكثرهم شطير
فبات طعامنا لهم طعاماً هناك ودورنا للقوم دور
كأن القيروان وهم عرابة حفاة محشر فيه المصير
ثم يخلص الشاعر إلى التوجه بالخطاب إلى معاشر لا ندري
بالضبط من يكونون أهم الفاطميون ؟ أم الخوارج ؟ على أن
إشارته إلى أنهم كانوا يعتصمون بالبحر تجعلنا نرجح أنه يعني
الفاطميين الذين اعتصموا بالمهدية عندما اشتدت ثورة صاحب
الحمار ، ومهما كان الأمر فإن الماعه غامض ، وتحامله ضعيف ،
وكلامه أقرب إلى الاعتذار والتبرؤ منه إلى الجدال المذهبي :

ألا أبلغ معاشر ليس عندي لهم عذر ولا فيهم عذير (1)
نحب صلاحهم وهم غضاب علينا ، ان ذا جور كبير
ضمائرهم مراض واجمات علينا ، لا أفاق لهم ضمير
ولا ذنب لنا الا لائتاً سلمنا حين عمهم الشبور-
وليس لنا كما لهم حصون ولا جبل أعاليه وعور
ولا سور أحاط بنا ولكـن لنا من حفظ رب العرش سور
ولا نأوى إلى بحر ، وأنسى اذا قضى القضا تنحى البحور
ولا نسرف على الحقيقة اذا قلنا أن هذه الاشارات الخفية
هى التي حدثت بالمالكي وغيره أن يعتبر هذه الرائية هجاء
للفاطميين .

(1) نفس المصدر . ص 124

أما القصيدة الثالثة من شعر الفزاري فهي مرثية نظمها في شيخه أبي الفضل الممسي ، الذي حرص أهل القبروان على محاربة الفاطميين ، والوقوف الى جانب أبي يزيد صاحب الحمار وخرج هو فعلا فلقي حتفه في وقعة المهديّة، وكانت أول هزيمة يمني بها صاحب الحمار ، كما كانت في نفس الوقت بدء عودة الروح للدولة الفاطمية .

استهل الفزاري مرثيته بالتفجع على الفقيه :
عليك ابا الفضل انسياق دموعي وشغلي بأنواع الأسى وولوعي (1)
وناران : نار في المآقي بالبكا ونار من الاشجان بين ضلوعي
وواضح أن مطلع القصيد تقليدي لم يخرج فيه الفزاري عن المألوف . ثم يعدد مآثر الفقيه ومناقبه ويشير الى أعظم صفة له وهو أنه عاش سنيا .

على سنة الاسلام عاش كأنما يقابله منها انفلاق صديق (2)
ويتعرض بعد ذلك الى ظروف استشهاده ، إلا أنه لا يشير الى الأطراف المتنازعة ولا ينحاز الى شق معين ، وكأنه غير واثق من نتيجة الفتنة ، أ تكون الغلبة لصاحب الحمار ؟ أم للفاطميين ؟ وربما يكون مرد ذلك الى تذبذه ، وتذبذب أهل افريقية عامة ، بين هذين الشرين ، أو هاتين العداوتين : الفاطميون أصحاب المذهب الدخيل ، شاتمو الشيخين ، ومقدسو أئمتهم ، والخوارج المبالغون في تشدهم ، المعلنون عن نواياهم الثورية ، المهددون للحضر بميلهم الى النهب والسلب والقتل .

(1) حوالات الجامعة التونسية . العدد العاشر . محمد اليعلاوي . ص 137

(2) الصديق هـ الصبح

والشيء الذي يلفت النظر في استعراض الفزاري لظروف مقتل النمسي أنه لم يتطرق إلى معاني الشجاعة والبطولة عند الفقيد ، بل نراه يؤكد على قوة إيمانه وورعه وصلاحه ... وهو ما يتماشى مع شخصية زاهد صالح كالنمسي :

قضى نحبّه بين الأسنة والطبي (1) شهيدا مع العباد غير جزوع (2)
وظل إلى دار العلى متطلعا يناجي إليها نفسه بطلوع
وضمخ في مثل الخلق (3) بطعنة

كست صدره المحمود ثوب نجيع (4)
ومدّ يميننا كان معتمدا بها لطلوع سجود أو لطلوع ركوع
وقلب طرفاً طالما بات ساهرا بمحاربه يذري وكيف دموع (5)
وواضح أن مواقف مثل هذه لا صلة لها بالحرب ولا تعنى بحال من الأحوال أن صاحبها مات محارباً . إلا أن الفزاري يأبى إلا أن يعده كذلك ، بل ويرتفع به إلى مصاف الشهداء ، فيندفع مصورا الحور العين وهن ينادين من شرفات الجنان الشيخ النمسي وما مات حتى بشر الحور باسمه وعائته في صيحة وهجوع وأشرفن من أعلى الجنان تشوقا ونادين فارتاح ارتياح سميع ولو قيل : بع بعض الذي نلت بالذي

تركك لكان البعض غير مبسّع

(1) الطبي ج ظيية : حد السيف

(2) حوليات الجامعة التونسية . ص 138

(3) الخلق : هو كل طيب ولكنه الزعفران خصوصا ولونه أحمر .

(4) النجيع : الدم الأحمر القاني .

(5) الدموع الواكفة : المسترسلة .

واذا كان مقتل الممسي قد خلف في نفس الشاعر ، اللوعة
والآسى ، فإنه خلف من ناحية أخرى ما هو أدهى من ذلك وأمر ،
فيفقده فقد العلم والدين علما شامخا ، وعالما جليلا :
ولست له أبكى ، ولكن لمعشر أصيبوا به من فرد وجميع (1)
وللعلم والاسلام والدين والتقوى وطول احتمال واصطناع صنيع
مضى علم العلم الرفيع وطالما أصابت قناة الموت كل رفيع
ولولا التأسي بالنبي محمد وأعظم به من أسوة لمروع
لقل عزائي أثره وتصبري وطال بكائي بعده وخشوعي
وينهي الفزاري مرثيته بالدعاء للمفقيد أن تسقي قبره
السحب الندية ، وأن يحله الله محلاً رفيعاً بالجنان ، ويتمنى
أن يكتب له أن يراه هناك ، وهي اشارة خفية لطلب الجنة
لنفسه أيضاً :

سقى جدثا أضحي به الفضل ساكننا
من المزن خفاق البروق هموع (2)
ألا ليت شعري هل أرى نور وجهه
بيوم عصيب للأنام جموع ؟
أعد لك الله الكرامة والرضى بأعلى محل في الجنان وسيع
وجازاك عن دين النبي وهديه جزاء يريد للإلاه مطيع
سأبكيك حتى يقرح الدمع مقلتي
وما ذاك ان طاولته بشنيع

(1) الحواشي . العدد العاشر . محمد اليعلاوي ص 138 — 139

(2) المصدر السابق . ص . 140

ويخلد ذكرنا منك في كل بلدة
شعر عجيب للرواة بديع

وإذا كانت القصائد الثلاث السابقة قد وجدت عناية من قبل المالكي والدباغ وأهل السنة بإفريقية بصفة عامة، لأسباب سياسية ومذهبية - فإن القصيدة الفزارية لم تحظ باهتمامهم لاعتبارات سياسية ومذهبية أيضاً - إذ أنها نظمت في مدح الخليفة الفاطمي المنصور ، والمدح فيها واضح لا تقية فيه كما في بقية مواقف الفزارى من الأطراف المتنازعة - كما أسلفنا

ولعل سبب شهرتها يكمن في أن الفزارى استعرض في القسم الأول منها - وهو الأطول - أسماء أبطال العرب وأجوادهم ومشاهير رجالهم في الجاهلية بخاصة، فجاء هذا القسم التاريخي أشبه بالدرس في أيام العرب ، ولكنه درس صيغ شعرا في إشارات إيحائية عابرة ، دون الحاح في مناقب كل علم من هؤلاء الأعلام ، مما يدل دلالة واضحة على أن هذه الأسماء : أوس بن سعدى - وقيس بن عاصم - وبسطام بن قيس وغيرهم ، كانت معروفة بإفريقية في القرن الرابع ، وبالتالي فإن الحضارة العربية الإسلامية بالقيروان استوعبت هذا الرصيد البطولي من أمجاد العرب ، ولا غرابة فلن كتب الأدب الكبرى كالأغاني للاصفهانى ، والعقد الفريد لابن عبد ربه كانت معروفة ورائجة في القرن الرابع هـ ، وهي التي تروي في اطناب أيام العرب .

وهذا الدرس التاريخي لا يخلو من مهارة ، فقد بناه على

شكل جملة ناقصة مبدؤة بنفي، وتتوالى أسماء الأبطال معطوفة على بعضها بعضاً :

- (1) لعمرك ما أوس بن سعدى بقومه ولا سيد الأوبار قيس بن عاصم
- ولا كان ذو الحدين بين كئائب
- (2) لها ميم من بكر وحي اللهازم
- و ربُّ معد والأحالف حولـه
- (3) عباب كموج اللجة المتلاطم
- ولا حاجب ذو القوس يخطر حولـه
- (4) قُروم كأسد الغيل من آل دارم
- واحنف سعد بين سعدو مالك
- (5) ومن رامهم من نهشل والبراجم

(1) أوس بن سعدى هو أوس بن حارثة الطائي ، كان من سادات العرب وكرمائها، وسعدى أمه . وقيس بن عاصم من بني منقر بن نعيم وهو سيدهم وفيه قال الرسول : هذا سيد الوبر .

(2) ذو الحدين وهو مسعود بن بسطام من بني شيبان من ربيعة وكان شريفاً سيداً في قومه وللهازم بطن من بني شيبان .

(3) يقصد برب معد : قصي بن كلاب جامع كلمه قريش وباني دار نذوتها بمكة .

(4) حاجب ذو القوس : هو ابن زراره بن عدس التميمي المشهور بشرفه فسي الجاهلية والإسلام وسمي ذا القوس لأنه كان رهن قوسه في عام شدة في أرض فارس ليحصل على توسعة لقومه .

(5) يعني الأحنف بن قيس التميمي وبه يضرب المثل في الحلم عند العرب ونهشل والبراجم قبيلتان .

- ولا خالد سم العدة ابن جعفر ———
- (1) ولا الحارث الشهم الفؤاد بن ظالم
- وذو الجبلين في عصائب طـــــــي
- (2) فتى الفضل والنعمى عدي بن حاتم
- ولا كان زيد الخيل والخير والقنــــا
- (3) وزيد المنايا والسيوف الصوارم
- وعمر أبو ثور وعمر بن عامــــ
- (4) وعمر بن عمر في الأسود الضراغم
- ولا كان بسطام بن قيس بن خالــــد
- (5) وعمر بن كلثوم شهاب الأرقام
- ولا علم الأجواد كعب بن مامــــة
- (6) عقيد الثناء المحض دون اللوائم

(1) خالد بن جعفر سيد بني كلاب ، أما الحارث بن ظالم فهو أحد فرسان غطفان المشهورين .

(2) يعني جبلي طي وهما : أجا وسلمى ، ومن فخر عدي بن حاتم أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمه على قومه وأكرمه .

(3) زيد الخيل سمي بذلك لطرادها والغارة عليها وسماه الرسول بعد إسلامه زيد الخير .

(4) أبو ثور عمرو بن معدى كرب البطل العربي المشهور بشجاعته وعمر بن عامر هو ابن ماء السماء كان من سادات العرب وأمرائها ، وعمر بن عمرو من أشراف قبيلة عبس .

(5) بسطام بن قيس الشيباني فارس قبيلة بكر بن وائل ، وسيدها ، وعمر بن كلثوم أحد أشراف العرب قاطبة وشعرائها .

(6) كعب بن مامة الأيادي أحد أجواد العرب وبه يضرب المثل في الجاهلية .

ولا عوف الموفي بدمه جـاره

(1) ولا جر في واديه غير المسالم

ولا الأشعث الكندي بين فـوارس

(2) صفوف على أهل النجير صلادم

ثم يأتي الخبر :

بأمنع مني في جوار خليفة عطف على أهل البيوتات راحم
أي أن هؤلاء الأسياد الأماجد الذين ضرب بهم المثل في
القوة والبطش والكرم لم يكونوا أعز منه الآن، وقد أمنه الخليفة
وقربه .. ويواصل البيت المتمم للجملية بمدح الخليفة الفاطمي
المنصور :

كريم المساعي والأيادي سميت به

أبوّة صدق من ذؤابة هاشم (3) .

شريف الأداني والأقاصي مهـذب

(4) إذا ما عددنا فضل أهل المكارم

وينهي قصيدته بفخر شعره وبهذه القصيدة الفزارية بالذات .

وتتجلى مهارة الفزاري في هذا التشويق إلى البقية، فالسامع

(1) عوف بن هود الشيباني وهو المقول فيه : (لا حرب بوادي عوف)
لشرفه ورفعة مكانه .

(2) الأشعث أمير كندة : أسرته ملحق ففدي بما لم يفقد به عزيز ولا أمير
سواه . ويعني بصفوف نجير يوم أخذ الأشعث الراية فغلب عسكر معاوية
على ماء بصفين وصلادم : أسود أو صلاب .

(3) اللؤابة في الأصل الشعر المتسدل من الرأس إلى الظهر ومعناها هنا السلالة أي
سلالة هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم .

(4) مجمل تاريخ الأدب التونسي . ح . ح . عبد الوهاب . ص 84 - 85 - 86 -

يظل ينتظر المدح إذا كان هو الممدوح، أو ينتظر خبر الجملة إذا كان قارئاً عادياً، والانتظار عادة يكون مملاً، ولكن الفزاري نجح في جعله مستساغاً، مقبولاً، فكل بيت عبارة عن شحنة من الذكريات والمحفوظات الأدبية - ان جازت العبارة -.

ثم إن المهارة لتتجلى خاصة في هذه المقارنة الضمنية بين الممدوح وبين كل هؤلاء الأبطال الأسياد، فيفضله عليهم جميعاً باستعمال صيغة التفضيل، فما كل هؤلاء.

بأمنع مني في جوار خليفة عطوف على أهل البيوتات راحم
وأخيراً فإن المهارة تكمن في أن تخصيص القسم الأوفر من القصيدة لهذا الاستعراض التاريخي الأدبي، والقسم الأخير للفخر بشعره، يمكن الشاعر من اختصار القسم المدحي، فالخليفة المنصور لم يمدح في النهاية إلا بسبعة عشر بيتاً من ثلاثة وستين، والطرافة في نهاية المطاف أن الشاعر خرج عن التقسيم الثلاثي المألوف : نسيب + وصف الراحلة + مدح. فأصبح : تاريخ + مدح + فخر.

أما المعاني المدحية فهي كما أسلفنا أقل غموضاً من بقية مواقف الفزاري السياسية والمذهبية، فهو يعترف صراحة للفاطميين بالنسب الهاشمي العلوي

كريم المساعي والأأيادي سمت به
أبوة صدق من ذؤابة هاشم

له من إمام المرسلين وصنوهم

عليّ ، معال ثابتيات الدعائم (1)
 بل يقدم على أكثر من ذلك حين يدعو علياً صنوا المرسلين، ولا
 يخفى بما في تشبيهه علي بالأنبياء من كفر عند أهل السنة،
 والغريب إقدام الفزارى السني عليه ، إلا أن الأمر لا يقف عند
 هذا الحد فإذا هو يعترف للمنصور بالخلافة والامامة :
 سأشكر آلاء الامام، ومن ينم

عن الشكر أو يسأم، فلست بسائـم
أبيت أمير المؤمنين ، سوى الـتي

يزيد سناء ذكرها في المواسم (2)

وقد ألح في أحد الأبيات على صفات الحلم والعفو والإمضاء
عن الذنوب، والكرم وكأنه هنا يشكر المنصور على صفحه
عن أهل القيروان وعنه هو، بعد خروجهم لقتال الفاطميين
والوقوف إلى جانب أبي يزيد صاحب الحمار :

تقى ، وندى ما بين حلم ونجدة

وعفوا وامضوا على كل ظالم (3)
كما تعرض ولكن في شيء من التحري والغدوض إلى الفتنة
الخارجية فأكتفى بالتنديد بالبغيطة الطامعين :
وكذبت أطماع البغيطة فأدبروا لاعتقابهم ما بين خاز ونادم

(١) الحوليات . العدد العاشر . محمد اليعلاوي . ص 134

(2) المصدر السابق . ص 134

(3) الحوليات . العدد العاشر . محمد اليعلاوي . ص 134

رجوا من فساد الملك ما عودتهم
أما نبيهم ، والله ليس بنائهم (1)
وهذا الشعر أيا تكون قيمته الفنية ، يحمل الدليل على أن
الفزاري لم يكن بمعزل عما يدور حوله من صراع سياسي ومذهبي
وعلى أن الأدب في شعره ونثره لا يمكن إلا أن يكون صورة
وصدى لحياة السياسة التي تحياها الدولة .

(1) المصدر السابق . ص 134

المراجع

- (1) حوليات الجامعة التونسية – العدد العاشر : فصل بعنوان شعراء افريقيون معاصرون للدولة الفاطمية : محمد اليعلاوي .
- (2) مجمل تاريخ الأدب التونسي : ح.ح. عبد الوهاب .
- (3) فجر الإسلام : أحمد أمين .
- (4) البيان المغرب في أخبار المغرب : ابن عذارى المراكشي .
- (5) طبقات علماء افريقية وتونس لأبي العرب تميم القيرواني تحقيق وتقديم : علي الشابي ونعيم حسن اليافي .
- (6) صبح الأعشى : للقلقشندي .

منتخبات

الخصيدة الرائية في حجاب بني عبيد (1)

تَلَفَّعَ فِي مَفَارِقِهِ الْقَتِيرَ —
 وليس يؤدب الانسان شيء
 وإنَّ ببابك اللهم عبداً —
 دعاك وقد رجاك فصننه مما
 ولا تُسلمه للنديا فتَهْـوِي —
 سلامتها ، وإن دامت ، سقام
 ومرعاها لراغبها وخيم —
 تسر المرء يوما ثم تغدو
 وإن واتتك اقبالا ونُعمى —
 وكل الخير فيها مستعار
 وإنَّ عزيزها عما قليل —
 وكل مؤمل أمل طویل
 وبعد الموت أهوال عظام —
 وتذهل كل مُرضعة لكرب

وَقَوَّسَ غُصْنُهُ اللَّدُنَّ النَّصِيرُ
 كتأديب الحوادث إذ تدور
 من الخذلان أصبح يستجير
 يحاذر ذو المراقبة الحذور
 به منها بطون أو ظُهُور —
 ونعمتها ، وإن دامت ، غرور
 وكثرتها لمكثرها يطير —
 فتسلب ما أتاح له السرور
 فعقبها الفجائع والقبور —
 وسوف يردُّ ذاك المستعير
 ذليلٌ ، والغني بها فقير —
 وعمر لو تؤمَّله قصير
 يشيب لبعضها الطفل الصغير —
 ليوم فيه شرٌّ مستطير

(1) الحواريات ع 10 — 73 — محمد اليعلاوي ص 122 — 123 — 124

نعيم في الكرامة أو سعي
 يقوم بها دعي أو كفور
 لها وتلون منها الدهور
 ولم تُغن المعاقل والقصور
 إله دافع عنها قدير
 وميز ما أكتنه الصدور
 وأسبل فوقها ستر ستر
 بحار لا تُعادلها بحور
 إذا عدوا وليس لهم نظير
 فقد طاب الاوائل والأخير
 على أقدامهم غيب حضور
 أقامهم إلى البعث النشور
 واسلام ومعرفة وخير
 وفادوا ما استبد به المغير
 فزالن عنهم تلك الشرور
 أمات عروقها ضر ضرير
 لهم أهلا وأكثرهم شطير
 هناك ودورنا للقوم دور
 وقام لشكرنا منهم شكور
 لغاب طعامهم والمحرير
 حفاة ، محشر فيه المصير
 عدل حين يفتخر الفخور

وبعد الموت للأرواح أما
 عجت لفتنة أعمت وعمت
 تزلزلت المدائن والبوادي
 وضاعت كل أرض ذات عرض
 فنجى القيروان وساكنيها
 أحاط بأهلها علما وخبرا
 وجللهم بعافية وأمن
 وأنبت جلة العلماء فيها
 ومنها سادة العلماء قدما
 وفيها القوم عباد خيار
 شعارهم التقى والخوف ليلا
 كأنهم لخوف الله موتى
 بلاد حشوها علم وحلم
 هم افتكوا سبایا كل أرض
 كفيهاهم عظامها جميعا
 وسكننا قلوبا خافقات
 وآوينا وواسينا وكننا
 فبات طعامنا لهم طعاما
 وكان لنا ثواب الله ذخرا
 ولولا القيروان وساكنوها
 كأن القيروان وهم عراة
 فهل للقيروان وساكنيها

عراق الشرق بغداد وهذي
ولست أقيس بغدادا إليها
بلاد تقصف العظماء قصفاً
بلاد خطها أصحاب بدر
بناها المستجاب وقد دعا
بناها كل بدري كريم
هم صلوا بمسجدها براحا
وهم وضعوا أسا متينا
وقادهم الأذان إليه حتى
ولم يسبقهم ملك ظلموم
وأصحاب النبي له بناءة
أقاموا شطر قبلتها سويا
وان عراضه لمقدسات
بها خلق العلوم لها دوي^ه
ألا أبلغ معاشر ليس عندي
نحب صلاحهم وهم غضاب
ضمائرهم مراض واجمات
ولا ذنب لنا إلا لاننا

عراق الغرب بينهما كثير
وكيف تقاس بالسنة الشهور
إذا ما رامها منهم غدور
وتلك اختط ساحتها أمير
في جوانبها دعاء لا يبور
كأن صفا وجوهم بدور
وليس له جدار مستدير
فقدست المواضع والصخور
أضاءهم من المحراب نور
لتأسيس ولا ملك كفور
فلا عصيان فيه ولا فجور
إلى البيت العتيق قلم يجورو
مباركة وتربته طهور
يجابوها الكتاب المستنير
لهم غدر ولا فيهم غدير
علينا إن ذا جور كبير
علينا لا أفاق لهم ضمير
سلمنا حين عمهم الثبور

عجائب بني عبيد

«ولأبي القاسم الفزاري أشمسار كثيرة» في حجر بني عبيد منها :
 عبدوا ملوكهم وظنوا أنهم نالوا بهم سبب النجاة عموماً
 وتمكن الشيطان من خطواتهم فأراهم عوج الضلال قويماً
 رغبوا عن الصديق والفاروق فـ
 أحكامهم لا سلموا تسليمــــا
 واستبدلوا بهما ابن أسود نابحاً
 وأبا عمارة واللعين تميمــــا
 تبعوا كلاب جهنم وتأخروا
 عمن أصارهم الآلهة نجومــــا
 يا ليت شعري من هم أن حصلوا
 دنيا، ومن هم أن عدت صميمــــا ؟
 أمن اليهود ؟ أم النصارى ؟ أم هم
 دهرية جعلوا الحديث قديماً ؟
 أم هم من الصابين أم من عصبــــة
 عبدوا النجوم وأكثروا التنجيماً ؟
 أم هم زنادقة معطلــــة رأوا
 أن لا عذاب غدا ولا تنعيماً ؟
 أم عصبــــة ثنوية قد عطلوا
 النورين عن ظلماتهم تعظيماً ؟
 من كل مذهب فرقة معلومة
 أخذوا بفرع وأدعوه أروماً
 سبحان من أبلى العباد بكنزهم
 وبشركهم حقباً وكان رحيماً
 يا رب فالعنهم ولسق لعينهم
 بأبي يزيد من العذاب أليماً

رثاء أبي الفضل المحمسي

عليك أبا الفضل أنسيق دموعي
وشغلي بأنواع الأسى وولوعي
وناران : نار في المآقي من البكا
ونار من الاشجان بين ضلوعي
على طاهر الاخلاق مبرر
من السوء محمود بكل صنيع
أديب أريب ماجد متكبر
حليم وقور الجانبين بديع
على سنة الاسلام عاش كأنما
يقابله منها انفلاق صديق
منوع من الفحشاء والاثم نفسه
وليس لباغي فضله بمنوع
بنفسي صريع جالت الخيل حوله
بمعترك الأبطال أي صريع
قضى نجبه بين الأسنة والطبي
شهيدا مع العباد غير جزوع
وظل إلى دار العلى متطلعا
يناجي إليها نفسه بطلوع

وَضُمِّخَ فِي مِثْلِ الْخُلُوقِ بَطْنُهُ
 كَسَتْ صَدْرَهُ الْمَحْمُودُ ثُوبَ نَجِيعٍ
 وَمَدَّ يَمِينَنَا كَانَ مُعْتَمِدًا بِهَا
 لَطُولُ سَجُودٍ أَوْ لَطُولُ رُكُوعٍ
 وَقَلْبٌ طَرَفًا طَالَمَا بَاتَ سَاهِرًا
 بِمَحْرَابِهِ يُذْزِي وَكَيْفَ دُمُوعٍ
 وَمَا مَاتَ حَتَّى بُشِّرَ الْحُورُ بِاسْمِهِ
 وَعَايِنَهُ فِي صَحَّةٍ وَهَجْرٍ
 وَأَشْرَفَنَ مِنْ أَعْلَى الْجَنَانِ تَشَوُّقًا
 وَنَادَيْنَ فَارْتَاخَ ارْتِيَاخِ سَمِيعٍ
 وَلَوْ قِيلَ : بَعْ بَعْضَ الَّذِي نَلْتِ بِالَّذِي
 تَرَكْتَ لَكَانَ الْبَعْضُ غَيْرَ مَبِيعٍ
 وَلَسْتُ لَهُ أَبْكِي وَلَكِنْ لِمَعْشَرٍ
 أَصِيبُوا بِهِ مِنْ مَفْرَدٍ وَجَمِيعٍ
 وَلِلْفَقْهِ وَالْإِسْلَامِ وَالِدِينِ وَالتَّقَى
 وَطُولِ اجْتِمَاعِ وَاصْطِنَاعِ صَنِيعٍ
 مَضَى عَالِمُ الْعِلْمِ الرَّفِيعِ وَطَالَمَا
 أَصَابَتْ قَنَاةَ الْمَوْتِ كُلَّ رَفِيعٍ
 وَلَوْلَا التَّأْسَى بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 وَأَعْظَمَ بِهِ مِنْ أَسْوَةِ لَمْرُوعٍ
 وَأَصْحَابِهِ الْإِخْيَارِ وَالسَّلَفِ الْأَلَى
 قَضَوْا نَحْبَهُمْ مِنْ مَارِعٍ وَمَرْوَعٍ

وعلمي باكرام الشهادة نالها
 سريعاً إليها وهو غير سرور
 بجيش لو ان المصطفى كان شاهدا
 لجاهد فيه الشرك غير مُضيع
 لقل عزائي إثره وتصبري
 وطال بكائي بعده وخشوعي
 سقى جدثا أضحي به الفضل ساكننا
 من المزن خفاق البروق هموع
 ونالته منا رحمة وتحية.
 على قرب دار أو محل شموع
 ألا ليت شعري هل أرى نور وجهه
 بيوم عصب للأنام جموع ؟
 شفيعك فيه يا أبا الفضل من له
 غضبت رسول الله خير شفيع
 أعد لك الله الكرامة والرضى
 بأعلى محل في الجنان وسيوع
 وجازاك عن دين النبي وهدييه
 جزاء مريد للإلاه مطيع
 سأبكيك حتى يقرح الدمع مقلتي
 وما ذاك ان طاولته بشنيع
 ويخلد ذكرا منك في كل بلدة
 شعر عجيب للرواة بديع

عَیسیٰ بن الایادی

تمهيد

يقول المرحوم حسن حسني عبد الوهاب : « قضى المشرق فترة من الزمان منعكفاً على أبي نواس والبحري والمتنبي ولا سيما المعري وابن سناء ، وهم وإن كانوا بلا مرء من مفاخر الآداب العربية وأمجادها ، الا أنه لا يجوز أن يقتصر جهد الباحثين عليهم وان يفتنوا بآثارهم فتوناً ربما يحصر آفاق الشباب الناهض ويجعله قانعاً بذلك النصيب بينما يوجد لديهم خضم تلاطمت أمواجه وغمر عبابه الزاخر سواحل المشرق والمغرب على السواء .

ويذكر من هؤلاء الذين ظهوروا في المغرب ابن رشيق ، وابن حزم ، وعلي بن الأيادي ، وابن هاني وغيرهم . ونظرنا ، فرأينا من هؤلاء علي بن الأيادي التونسي الشاعر رأيناه في المغرب وفي القيروان بالذات يشبه البحري في المشرق ولكنه لم يحظ بدراسة تكشف عن مكانته في الشعر ، وربما كان ذلك حظ أدباء المغرب العربي ونقاده وعلماؤه بصفة عامة وربما يكون مرد ذلك كما يقول الأستاذ أحمد الشايب :

ان هذا الصقع الغربي من الوطن العربي قد أصيب بانقطاع الحلقات ، بخلاف المشرق فإن يقظة شعوبه ، وتوافر مصادره ، واتصال حياته منذ فجر التاريخ قد أعان على دراسة أعلامه وتتبع جهوده ... غير أنه مهما تكن الأسباب فإنها لا تبرر ترك قرون ثمانية في تاريخ الحضارة الأندلسية ، كانت تزهر بأدبها العربي وطابعها الاسلامي ... ولا ترك افريقية تشقى بالجذب والنسيان طوال هذه القرون وإلى عصرنا الحاضر (1) .

وأيا كانت أسباب هذا الهمسال فإن افريقية والقيروان بخاصة كانت : « منذ الفتح إلى أن خربها الاعراب دار العلم بالمغرب ، إليها ينسب أكابر علمائه وإليها كانت رحلة أهله في طلب العلم ، وقد ألّف الناس في اخبار القيروان ومناقبه ، وذكر علمائه ، ومن كان فيه من الزهاد والصالحين والمتبتلين كتباً مشهورة ككتاب أبي محمد بن عفيف ، وكتاب بن زيادة الله الطنبلي (2) » .

ولقد كان حسب الرجل أن ينتمي إلى القيروان حتى يعرف بالعلم والأدب ، وقد ذكرت كتب التراجم منهم من لا يتسع المقام لذكر أسمائهم ، وانما نشير الى واحد يعنينا في هذا البحث وهو علي بن الايادي التونسي .

(1) أصول النقد الأدبي .

(2) المعجب في تخلص أخبار المغرب : الواحدي المراكشي .

مصادر

اسمه - مولده :

ترجم له المرحوم حسن حسني عبد الوهاب فقال :
علي بن محمد الايادي ، نشأ وترى بمدينة تونس ، ثم التحق
بخدمة الدولة العبيدية بالقيروان والمهدية ، وكان أشهر شاعر
افريقي في مدة القائم بن المهدي وولده اسماعيل المنصور .
وقد عمر طويلا ومات في أيام المعز لدين الله الفاطمي (1)
وعلى هذا الأساس يكون شاعرنا قد عصر خلفاء بني عبيد الأربعة :
المهدي والقائم والمنصور وأخيرا المعز (2) ...

أما عن مولده ونشأته فلا نعرف عنهما شيئا سوى ما ذكره الدكتور
محمد اليعلاوي (3) من أنه أصيل «المسيلة» حاضرة الزاب

(1) مجمل تاريخ الأدب التونسي لحسن حسني عبد الوهاب ص 96 .

(2) المهدي عبيد الله أبو محمد) 297 — 322 هـ 909 — 934 هـ

القائم (محمد أبو القاسم) 322 — 334 هـ 934 — 945 م

(3) الحوليات ع 73/10 ص 97

المنصور (اسماعيل أبو طاهر) 334 هـ 341 — 945 — 952 م .

المعز (أبو تميم) 341 — 365 هـ — 952 — 975 م .

الجزائري. على الرغم من دعوته بالتونسي . ويضيف اليعلاوي بأن «إياد» التي ينسب إليها شاعرنا هي فرع من قبيلة «الاثباج» التي كانت نازلة بجبال «المعاضيد» شمالي شط الحضنة والمسيلة . والاثباج ، مثل زغبة ورياح ، بطن من بني هلال» ويستنتج اليعلاوي ان الايادي مشترك بين الجزائري وتونس مثل ابن هانيء .

وفاته :

أما وفاته فقد أرخها ح . ح . عبد الوهاب بسنة 365 هـ 976 م ولكنه لم يذكر مكان وفاته . غير أن الدكتور محمد اليعلاوي استنتج من عبارة ابن رشيق في «قراضة الذهب» ان الشاعر قد يكون توفي بالقاهرة حيث كان التحق بالمعز بعد أن لاقى في طريقه إليه الأهوال والصعاب (1)

(1) نفس المصدر . ص 98

شعره

ومع إنا لم نقف له على ديوان مطبوع يضم شعره، فقد وقفنا على بعض انتاجه من الشعر، وجدناه فيما تناسر من كتاب زهر الآداب للحصري وفيما ذكرته كتب التراجم حين تعرضت له أو لتاريخ عصره أو لتاريخ معاصريه . وقد جمع من ذلك الشعر المنشور في مطاوي الكتب العلامة ح. ح. عبد الوهاب وذلك في كتابه «مجل تاريخ الأدب التونسي».

ولكي نستبين شاعرية علي بن الايادي نسوق ما قاله ابن شرف عندما عرف به «... شعره هو المورد العذب، ولفظه هو اللؤلؤ الرطب، وهو بختري الغرب، يصف الحمام، فيروق الأنام، ويشيب فيعشق، ويحبب، ويمدح فيمنح أكثر مما يمنح... (1)».

وهذه الاشادة من ناقد حصيف تسجل لنا عدة حقائق :
 (1) جل شعر الايادي كان منتشرا في أواسط القرن الخامس هجري
 (2) تضمن هذا الشعر كثيرا من الاغراض كالمديح والغزل والوصف

(1) رسائل الانتقاد ص : 22 - تحقيق ح. ح. عبد الوهاب .

(3) براعة الايادي في فن الوصف حتى أنه يشبه بالبحثى
(4) التمثل بالمشاركة وقد عدّ بعضهم ذلك ضرب من ضروب
الشعور بالنقص والذي نقرره في هذا الصدد أن مطلع الثقافة
العربية في مختلف فروعها إنما كان في شرق الدولة العربية ،
فالشعر ، وعلوم اللسان وكذلك علوم الدين التي تفرعت عن
القرآن والسنة كلها نبئت وأزدهرت في الجزيرة العربية وفيما
جاورها من أقاليم ، تبعتها تبعية سياسية ، ثم كانت أن طارت
هذه الثقافات على أجنحة العرب الفاتحين والمهاجرين إلى المغرب .

ولسنا ننكر أن قد قامت في المغرب مدارس ومذاهب ولكننا
نستطيع أن نقول غير مجاوزين الحقيقة : أنه برغم امتداد
السنين بالفاتحين والمهاجرين وبرغم استقرارهم في البلاد
المغربية الجديدة وبرغم نشوء طبقات من المغاربة كان لهم حظ
كبير من العلم والمعرفة - برغم ذلك كله - فإن أثر المشرق
في المغرب ، وأثر المشاركة في المغاربة ظل قويا وقائما على طول
المدى حتى ما نكاد نستبين أثر الاقليمية في نتاج هذا الجزء من
الدولة الاسلامية اذ لم تضع حدود الأقاليم حواجز أو فواصل
في سبيل العلماء والأدباء والكتاب والشعراء » (1) .

ولنما بقى أولئك يقتفون أثر هؤلاء لأن المغلوب - كما يقول
ابن خلدون - مولى أبدا بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر
أحواله وعوائده والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال

(1) العربية ليوهان فك ص 168 ترجمة محمد عبد الله دراز

فيمن غلبها وانقادت له ... وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم
كيف تجدهم متشبهين بهم دائماً وما ذلك الا لاعتقادهم
الكمال فيهم . (1)

وأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم
بل وفي سائر الصنائع حتى أنه ليظن كثير من رحالة أهل
المغرب الى المشرق في طلب العلم ، أن عقولهم على الجملة
أكمل من عقول أهل المغرب ، وأنهم أشد نباهة وأعظم كيساً
بفطرتهم الأولى وان نفوسهم الناطقة أكمل بفطرتها من نفوس
أهل المغرب (2) .

والحقيقة كما يقول ابن خلدون بعد الذي تقدم أن «ليس
بين قطر المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذي هو تفاوت
في الحقيقة الواحدة (3) » وإنما تعلق المغرب بالمشرق تعلق
الفرع بأصله أو تعلق اللاحق بالسابق والمتأخر بالمتقدم ،
وهذه حقيقة يؤكدنا تناقل المعارف وحملها من المشرق إلى
المغرب وارتحال المتعلمين من المغرب الى المشرق ينهلون من
موارده ليعودوا الى بلادهم فيجلسوا مجالس الأساتذة .

ونلفت النظر هنا إلى أن الغرب بوقوعه بين مشرق الدولة
العربية وبين الأندلس طرفها الأقصى من المغرب قد تهيأ له
بذلك ما جعله محط العلماء من كل فج وصقع ، فهو على الطريق

(1) المقدمة ص 164 .

(2) المقدمة ص 483

(3) .المقدمة ص 483

بين طرفي الدولة، والراحلون من المشرق إلى الأندلس والآييون من الأندلس إلى المشرق يمدرون به وكثيرون منهم تعجبهم الحياة فيه فيحطون رحالهم حط اقامة حتى كانت للغرب بذلك كله حركة علمية لا تقل عن مثيلتها في الشرق . (1)

ولكن برغم مما كان يحاوله المغرب من منافسة المشرق وأن تكون له شخصيته المتميزة فإن علماءه وأدباءه وشعراءه ظلوا وهم يرون في المشرق وعلمائه وأدبائه الأب الروحي لهم، يتطلعون إليه تطلع الولد إلى أبيه والتلميذ إلى أستاذه ولا عجب في أن يتعلق الفرع بالأصل «ويأخذ الأدنى عن الأعلى» (2) .

وخلاصة هذا الترابط بين الشرق والغرب، مع نظرة الغرب إلى الشرق، أن هذا الجزء من الدولة العربية ظل ينتج ويكتب ويؤلف على غرار ما كانت الكتابة والتأليف في الشرق، ولم تختلف شخصية المغاربة عن المشاركة في أدبهم وعلومهم، اللهم الا اختلافاً يسيراً .

على أن ابن شرف حين يطلق على «علي بن الأيادي» لقب «بحثري الغرب» فانه عندنا لم يبالغ فما هو بأقل منه ولا شعره دون شعره، ومع ما في أيدينا من قلة الا أنها قلة تدل على أنه شعر يسمو بصاحبه إلى صفوف المجيدين من الشعراء، وسنعرض من قوله في الأغراض المختلفة ما يقوم شاهداً ودليلاً على شاعريته .

(1) ابن رشيقي : عبد الرؤوف مخلوف

(2) قيارات أدبية ص 127 : تأليف ابراهيم سلامة .

الوصف

إذا كان ابن رشيق يقول : «الشعر الأقلُّ راجع إلى الوصف ولا سبيل إلى حصره واستقصائه (1) » فانا نقول بأن الأيادي قال في هذا الباب الكثير والمقطوعات التي وصلتنا تقوم شاهداً على براعته في تقليب المعاني وتوليد الصور فهذا وصفه لـ «دار البحر» وهو القصر الذي أنشأه المنصور بن القائم بصبرة (المنصورية) سنة 337 هـ (2) وسمي بالبحر لأنه اشتمل في أرجائه على بركة عظيمة ذات قطرين :

ولما استطال المعجد واستولت العلا

على النجم وامتد الرواق المروّق (3)
بنى قبّة للملك في وسط جنة

لها منظر يزهي به الطرف مونق

(1) العمدة .

(2) ذكر المؤرخون أن المنصور العبيدي أنفق على إنشاء هذا القصر ثلاثمائة ألف دينار. ولم يبق اليوم من هذا القصر سوى أعمدة مرمية متناهية الحجم ملقاة على وجه الأرض في المكان المعروف بهندي صبرة .

(3) مجمل تاريخ الأدب التونسي ص : 97 .

بممشوقة (1) الساحات أما عراصها
 فخضر وأما طيرها فهي نطق
 تحف بقصر ذي قصور كأنما
 ترى البحر في أرجائه يتدفق
 له بركة للماء ملء فضائنه
 تخب بقطريها العيون وتعنق (2)
 ان أول ما نقع عليه في هذا الوصف أن الايادي دقيق الملاحظة
 دقيق التصوير، فهو لا يدع من المشهد شاردة أو واردة إلا ويأتي
 عليها فكأنما هو مكلف بأن يستنفد كل ما فيه .
 إلا أن الايادي ليس دقيقاً ولا متقصياً فحسب وإنما مفصلاً
 أشد التفصيل حتى يساعد على تصور هيئة هذا القصر وأقسامه
 فالبركة مثلاً يزودها نهر ؛
 لها جدول ينصب فيها كأنه
 حسام جلاه القين بالأرض ملصق (3)
 وقد أقيم في وسطها مجلس للهو أو للنزهة وتسريح العين ؛
 لها مجلس قد قام في وسط مائها
 كما قام في فيض الفرات الخورنق (4)

(1) ممشوقة أي حسنة .

(2) تخب : أي تعدو عدوا فسيحاً ، وتعنق تسير بأمعان

(3) جلاه القين : أي صقله الحداد

(4) الخورنق : هو قصر عظيم على نهر الفرات

ان الايادي عدا وصفه للقصر وصفاً واقعياً فيه من الدقة والتفصيل الشيء الكثير وعدا استناده إلى مخيلة خصبة ساهمت في تجسيد المشهد حتى لهو واقع مائل تحت الحواس ، نراه كسائر المغاربة يباهي المشاركة بهذا المعلم الحضاري ، فيشبهه بقصر المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة بالعراق قبل الاسلام بل نراه اكثر من ذلك يشير لكن بصورة خفية لطيفة فيها كثير من اللباقة والعفوية إلى الصورة القرآنية في وصف القصر الذي بناه سليمان لبلقيس ملكة سبأ : «فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها ، قال : انه صرح ممرد من قوارير» (النمل الآية 44) .

إلا أنه قلب التشبيه القرآني ، فاللجة هي التي أصبحت كالزجاج الأزرق :

كأن صفاء الماء فيها وحسنه زجاج صفت أرجاؤه فهو أزرق

ولنلاحظ أن الشاعر بالاضافة إلى الدقة يذهب إلى أبعد من الظاهر فيبدع للمشهد صوراً بديعة غريبة : فإذا انعكست على الماء أضواء النجوم المتراقصة ، بدت كأنها لهيب يأكل سحنة الزنجي السوداء ، أما أشعة الشمس فتحدث فيها بريقاً خلاً بآ كلالٍ تاج الأمير بيوقيته :

إذا بث فيها الليل أشخاص نجمه

رأيت وجوه الزنج بالنار تحرق

وإن صافحتها الشمس لاحت كأنها

فرند على تاج المعز ورونق (1)

كأن شرفات المقاصر حولها . عذارى عليهن الملاء الممنطق

إنك حين تقرأ البيت الأخير تستقرى ميزة أخرى من
ميزات الايادي وهي المحافظة على الطاقة الإيحائية ، فالشاعر
يشعرنا بأن البركة محاطة بعدة غرف أو مقاصير ذات طوابق
وشرفات ، وأن هذه الشرفات تكتنف ثغرة الغرفة أي بابها كما
يكتنف الحزام قوام العذراء البيضاء .

ولئن بدأنا دراسة شعر علي بن الايادي بالوصف فلأنه أوسع
أبوابه - كما أسلفنا - ومواضيع وصفه بتنوع بتنوع الحياة
وألوانها . فقد وصف فرسا للأمير جعفر بن القائم فإذا هو
يتقصى الموصوف ليصفه بدقة ، وجاء وصفه بحق نوع من
الغنائية يعبر بها عن عاطفة رقيقة وشعور بالجمال :

وأقب من لحق الجياد كأنه قصر تباعد ركنه عن ركنه (2)
وكانما انفجر الصباح بوجهه حسناً أو احتبس الظلام بمتنه
مستبطر بالراكبين كأنسه باز تروح به الجنوب لوكنه (3)

(1) الفرند : السيف وجوهره وشبهه المقصود منه هنا ، السناء البراق ، وقد كان الخلقاء

العبيديون يلبسون في المواكب تيجاناً من الذهب وكلاهما بالواقيت والجواهر .

(2) وأقب : متواصل السير ولاج في الهنا ، والقبب بالتحريك دقة الخصر وضمور
البطن والحق الضامرة أو السريعة .

(3) مستبطر : مسرع ، ووكنه أي عشه .

حلوا الصهيل تخال في لهواته حاد يصوغ بدائعا من لحنه
 ذو نخوة شمخت به عن نده وشهامة طمحت به عن قرنه
 قد راح يحمل جعفر بن محمد حمل النسيم لوابل من مزنه (1)
 ووصف أسطول القائم الفاطمي بالمهدية فإذا وصفه واقعي
 حسي لا يحتاج إلى امعان لفهمه :

أعجب لأسطول الإمام محمد ولحسنه وزمانه المستغرب
 لبست به الأمواج أحسن منظر يبدو لعين الناظر المستعجب
 من كل مشرفة على ما قابلت اشراف صدر الأجلد المنتصب (2)
 دهماء قد لبست ثياب تصنع تسبي العقول على ثياب ترهب
 من كل أبيض في الهواء منشر منها وأنحم في الخليج مغيب (3)
 كقوادم النسر المرفرف عريت من كاسيات رياشه المتهذب...
 سَجَرُوا جواحم نارها فتقاذفوا منها بالسن ما رح متلهب (4)
 محفوفة بمجادف مصفوفة في الجانبين دوين صلب صلب
 وتحتها أيدي الرجال إذا ونت بمصعد منه بعيد مصوب
 جوفاء تحمل كوكبا في جوفها يوم الرهان وتستقل بمركب
 يعلو بها حذب العباب مطارة في كل لج زاهر مغلوب (5)

(1) زهر الآداب للحصري ص 314 ومجلد تاريخ الأدب التونسي . ص 98

(2) الأجلد : هو الصقر

(3) أسحم : أسود

(4) سَجَرُوا جواحم نارها : ملأوها وقودا وهو يشير إلى النفط التي كانت تلقى على العدو في الحروب

(5) مجلد تاريخ الأدب التونسي ص : 98 - 99

ولقد تميز الايادي بحبه الجمال، سعى إليه انى كان وعشقه
 في ابسط الموجودات فحتى الزهرة الضائعة بين ركام الأشواك
 . تستهويه وتستوقف وجوده :

نمّ بالروض خفق الرياح واقتدح الشرق زناد الصباح
 وأنجّل الورد شعاع الضحى وابتسمت فيه ثغور الأقاح
 وقام في الدوح لنعي الدجى حمام تطربنا بالصباح
 مذ ولد الصبح ومات الدجى صاحت فلم ندر غنى أم نواح(1)

ولا شك أن هذا التدقيق في الوصف إلى حد الاهتمام
 بالجزئيات والخيال الخصب الذي يستمد صوره من الواقع
 والتماس النواحي الجمالية، والمحافظة على الطاقة الایحائية،
 يجعل من الايادي شاعرا من طراز الشعراء الوصافين كالبحثري
 وابن المعتز وغيرهما .

(1) مجمل تاريخ الأدب التونسي ص : 101

الغزل

بيد أننا إذا قسنا ما وصلنا من شعر الايادي في الأغراض
الأخرى بما وصلنا من مواضيع الوصف، الفيناه قليلا جدا،
بل أقل من القليل، ففي باب الغزل مثلا لم نعثر له إلا على
مقطوعة قصيرة، لكنها - رغم قصرها - تشهد له ببراعة فائقة .
فهو في غزله كما رأيناه في الوصف عامة، كثير الصور الفنية
يستند إلى خيال خصب، وعين نفاذة تطمح : أبدا إلى استجلاء
المفاتن ولعل الطرافة في هذه المقطوعة تكمن في طرق معنى
طيف الحبيب الذي يزور العاشق المسهد :

طيف يزورك من حبيب هاجر أهلا به وبطيفه من زائر (1)
شق الدجى وسرى فأمعن في السرى حتى ألم فبات بين محاجري
فقد كنى عن التسهيد باقامة الطيف بين المحاجر، أي في
موضع العينين أو بين الجفون، كما شخص الطيف بتصوير قوامه
الأنهيف وعنقه الرقيق الطويل :

يحدو به هيف القوام المنثني نحوي، وسالفة الغزال النافر (2)

(1) زهر الآداب للحصري . ص 703

(2) المصدر السابق . ص 703

وهو تخيل للحبيب المهاجر، إذ يجري الشاعر مفاضلة بين الحبيب وطيفه، فينسب إلى الطيف وفاء خلا منه قلب الحبيب، ورحمة للعاشق تمثلت في هذا الوصال المعوض عن هجر الحبيب لله درك من خيال واصل أسرى فأنصف من حبيب هاجر عللت غلة قلب صب هائم وقضيت ذمة فيض دمع قاطر (1)

إن أول ما يسترعى إهتمام الدارس لهذه المقطوعة أن غزل الايادي رقيق استمد رفته من حياة الحواضر الفاطمية، كما استمدّها بنوع أخص من ذوق الأيادي ومن رهافة حسه ورقة طبعه وتمكنه من استخدام الأجهزة اللغوية حسب مقتضى الحال.

ذلك هو أسلوب الأيادي في غزله، ووصفه، خاصة، ولا بد من الإشارة في النهاية إلى ناحية هامة من أسلوبه، وهي كيف كان يستخدم اللفظة، وما صلة الكلمة بالمعاني.

كان الايادي - كما أسلفنا - يستقصي المعاني حتى لا تفلت منها أية شاردة ويتعمقها حتى يلم بعجزياتها مهما كانت يسيرة. وكانت الكلمة عنده ضرورية ضرورة المعنى، أي أنه يسعى إليها جادا لتؤدي معانيه على أتمها، فما يرضى بالكلمة القريبة من المعنى المراد بل هو يريد مطابقة له دون زيادة أو نقصان. إذن ثمة ارتباط قوي بين المعنى واللفظ، لا يكتمل بدونه شعره.

(1) زهر الآداب للحصري . ص 703

المديح

المديح عامة ثناء يسبغه الشاعر على ممدوحه، إما إعترافاً
بفضل أو طمعاً في النوال. ولم يشذ عن هذه القاعدة من الشعراء
إلا النادرون جداً كأبي الطيب المتنبي في المشرق الذي كان
يغني البطولة الماثلة في أعماقه، أكثر مما يغني الممدوح. وكابن
هاني في المغرب الذي كان شاعر فكرة ودعوة.

أما شاعرنا الأيادي الذي عاش في كنف القائم بن المهدي
وولده اسماعيل أبو طاهر وبالتالي في أوج انتشار المذهب
الشيوعي بافريقية فإن ما وصلنا من مدائحه نراها «تخلو غالباً من
الإشارات السياسية إلى أحقية الفاطميين بخلافة المسلمين، وإلى شرعية
إمامتهم ووجوب الولاء لهم، وهي المعاني التي تطفح بها مدائح ابن
هاني للمعز العبيدي. ولعل هذا الاعتدال في الإشارات الشيوعية - إن
لم يكن ناتجاً عن حذف من الرواة - هو الذي جعله مغموراً عند
الفاطميين وطمس آثاره في كتبهم وحتى في كتب منافسيهم⁽¹⁾
ولا نزع من أن كل مديح الأيادي يخلو تماماً من الإشارات
السياسية فهذا هو، حين بويح المنصور خليفة سنة 334هـ ينطلق في

(1) الحوليات ع 73/10 ص 99 : محمد البعلاوي

مدحه وكأنه ملك من الملوك لا إماما ذا مذهب ودعوة وطموح
إلى جمع كلمة المسلمين تحت رايته (1)

لقد سنَّ اسماعيل سنةً جده لكل فصيح في البلاد وأعجم
وقُدِّ حقَّ المسلمين بحقِّه فتمت به النعمى على كل مسلم
ملك إذا سل السيوف على العدى
دجا الليل أو تُروى السيوف من الدَّم (2)

بل أنا نراه في أعظم انتصار للفاطمين، وهو انتصارهم على
ثورة صاحب الحمار الذي كاد يزعزع ملكهم، لا يولي اهتمامه
إلا بالملك والثائر غير عابئ بقوى الصراع المتمثلة في مذهب
الشيعة من جهة والاباضية من جهة أخرى :

فارتقى الملعون من خيفته في ذرى أعيط عال مصعد
في ذرى خلقاء ملساء على ذلك المعقل ليست بصدد
معقل من فوقه الله ومن تحته المنصور في جيش معد
فارتقى المنصور بالسيف له يوم طعن كشابيب البرد
واثقا بالله في غربته من بني أحمد ناء منفرد
إلا أن أهمية القصيدة تتمثل في التصوير الجيد لنهاية صاحب
الحمار وهي بهذا الاعتبار وثيقة تاريخية توضح الكيفية التي
مات بها الثائر :

(1) نفس المصدر ص 115 .

(2) نفس المصدر ص 113 — 114 .

ففضا عنه أديما دنسا كان قد أسرف فيه ومرد
 كأديم التيس لما لم يطب ريحُه جُرد منه فانجرد
 وحشاه سالخوه سغفا مالثا بين كعوب وكتد
 ثم رقاها على مستحصد باسق أجرد ما فيه أود (1)

ويبدو اعتدال الايادي في الاشارات السياسية في قصيدة أخرى مدح بها المنصور سنة 334 هـ عندما خرج من قصره في عيد الفطر للصلاة بالناس. فلا نجد حديثا عن شرعية الإمام بلا نلاحظ أن المعاني التي اهتم بها الايادي هي رغد العيش في كنف المنصور فعبّر عن هذه السعادة بصورة المرأة الجبلى بالمواعيد الطيبة وقد وضعت حملها، أى حققت الأماني (2) :

توسم صباح المجد من أين يشرق
 وعرف الرضى والحلم من أين يعبق
 ومثل - على أن النجوم كثيرة بأي سراج تهدي فتوفى
 لقد صحح للمرتاد ما كان يبتغي
 وصاب له الغيث الذي كان يبرق
 وقد كانت الأيام خرسا فأصبحت
 لها ألسن بالشكر لله تنطق
 فما بعد هذا للوسائل ملجأ ولا للمنى في غيره متعلق

(1) الحوليات ع 73/10 ص 102 : محمد العلاوي

(2) الحوليات ع 73/10 : محمد العلاوي . ص 107

فقد وضعت تلك المواعيد حملها

تماما وكانت قبل ذلك تطلق (1)

هذا هو الأيادي في مديحه، مديح أبرز سماته الاعتدال، وخوفت
نزعة التشيع، وفي هذا دليل على أن الأيادي لم يكن سوى شاعر
بلاط.

على أنه رغم كل شيء، فإن ما وصلنا من شعر الايادي على
قلته في كل الأغراض التي استعرضناها يقوم برهاننا. بينا، وحجة
ناصعة على شاعريته. ولو أنه وصل إلينا شعره كاملا لاستبان
الناس فيه شاعرا يمكن أن يكون بين شعراء المغرب كما كان
البحثري وابن الرومي وابن المعتز في المشرق.

(1) الحوليات ع 79/17 : محمد العلوي ص 51 .

المراجع

- 1 - رسائل الانتقاد ... ابن شرف . تحقيق ح. ح. عبد الوهاب
- 2 - العمدة ... ابن رشيقي
- 3 - المقدمة ... ابن خلدون
- 4 - المعجب في تخلص أخبار المغرب ... الواحدي المراكشي
- 5 - زهر الآداب وثمر الألباب ... إبراهيم الحصري
- 6 - ابن رشيقي ... عبد الرؤوف مخلوف
- 7 - أصول النقد الأدبي ... أحمد الشايب
- 8 - مجمل تاريخ الأدب التونسي ... حسن حسني عبد الوهاب
- 9 - العربية ... يوهان فك . ترجمة عبد الله دراز
- 10 - تيارات أدبية ... إبراهيم سلامة
- 11 - حوليات الجامعة التونسية ... ع. 73/10 فصل بعنوان: شعراء افريقيون
معاصرون للدولة الفاطمية : محمد اليعلاوي
- 12 - حوليات الجامعة التونسية ... ع. 79/17 فصل بعنوان شعراء افريقيون
محمد اليعلاوي

منتخبات

وصف قصر

« وَلَمَّا اسْتَطَالَ الْمَجْدُ وَاسْتَوَلَتْ الْبُنَى
 عَلَى النَّجْمِ، وَأَمْتَدَّ الرَّوَاقُ الْمُرَوِّقُ (1)
 « بَنَى قُبَّةً لِلْمَلِكِ فِي وَسْطِ جَنَّةٍ
 لَهَا مَنْظَرٌ يُزْهِى بِهِ الطَّرْفُ مُونِقُ
 « بِمَمْشُوقَةِ السَّاحَاتِ، أَمَا عِرَاصُهَا
 فَخُضْرٌ، وَأَمَّا طَيْرُهَا فَهِيَ نَطَّاقُ
 « تَحُفُّ بِقَصْرِ ذِي قُصُورٍ كَأَنَّمَا
 تَرَى الْبَحْرَ فِي أَرْجَائِهِ يَتَدَفَّقُ
 « لَهُ بَرَكَةٌ لِلْمَاءِ مِلءُ فَضَائِلِهِ
 تَحُبُّ بِقُطْرَيْنِهَا الْعُيُونُ وَتَغْنَقُ (2)
 « لَهَا جَدُولٌ يَنْصَبُ فِيهَا كَأَنَّهُ
 حُسَامٌ جَلَاهُ الْقَيْنُ بِالْأَرْضِ مُلْصَقُ
 « لَهَا مَجْلِسٌ قَدْ قَامَ فِي وَسْطِ مَسَائِلِهَا
 كَمَا قَامَ فِي فَيْضِ الْفُرَاتِ الْخَوَرَنَقُ

(1) مرووق ؛ بيت مرووق ، له رواق

(2) الخبب والعتق ضربان من سير الدواب .

كَأَنَّ صَفَاءَ الْمَاءِ فِيهَا وَحُسْنَـهُ
 زُجَاجٌ صَفَتْ أَرْجَاسُهُ فَهُوَ أَزْرَقُ
 «إِذَا بَتَّ فِيهَا اللَّيْلُ أَشْخَاصُ نَجْمِهِ
 رَأَيْتَ وَجْهَ الزَّيْجِ بِالنَّارِ تُخْرِقُ
 «وَإِنْ صَافَحَتْهَا الشَّمْسُ لَاحَتْ كَأَنَّهَا
 فِرْنِدٌ عَلَى تَاجِ الْمُعِزِّ وَرَوْسُ قُ
 «كَأَنَّ شَرَافَاتِ الْمَقَاصِرِ حُسُولُهَا
 عَسَدٌ أَرَى عَلَيْهِنَّ الْمَاءُ الْمُنْطَاقُ
 «يَذُوبُ الْجُفَاءُ الْجَعْدُ عَنْ وَجْهِ مَائِهَا
 كَمَا ذَابَ آلُ الصَّخْصَحَانِ الْمَرْقِيقُ ..» (1)

(1) الآل : السراب ، / والصخصحان : الأرض الجرداء المساء والجفاء الزبد المتراكم

وصف اسطول

أعجب لأسطول الإمام محمد
 وليحسنيه وزمانه المستغنى
 ليست به الأمواج أحسن منظر
 يبدو لعين الناظر المتعجب
 من كل مشرفة على ما قابلت
 إشراف صدر الأجل المتنصب
 دهماء قد ليست ثياب تصنع
 تسبي العقول على ثياب ترهب
 من كل أبيض في الهواء منشور
 منها، وأسحم في الخليج مغيب
 كملاء في البر يقطع شدها
 في البحر أنفاس الرياح الشدب
 مخفوفة بمجادف مضفوفة
 في جانبيين دوين صلب صلب
 كقوائم النسر المرفرف عريت
 من كاسيات ريشه المتهدب

تَحْتَشُّهَا أَيْدِي الرِّجَالِ إِذَا وَنَسَتْ
 بِمُصْعَدٍ مِنْهُ بُعِيدَ مُصَوِّبٍ
 خَرَقَاءُ تَذْهَبُ إِنْ يَدُ لَمْ تَهْدِهَـا
 فِي كُلِّ أَوْبٍ لِلرِّيَّاحِ وَمَذْهَبِ
 جَوْفَاءُ تَحْمِلُ مَوْكِبًا فِي جَوْفِهَـا
 يَوْمَ الرِّهَانِ وَتَسْتَقِيلُ بِمَوْكِبِ
 وَلَهَا جَنَاحٌ يُسْتَعَارُ يُطِيرُهَا
 طَوُوعَ الرِّيَّاحِ وَرَاحَةَ الْمُتَطَرِّبِ
 يَغْلُو بِهَا حَذْبُ الْعُبَابِ مُطَارَةً
 فِي كُلِّ لُجٍّ زَاخِرٍ مُغْلَوِّلِ
 تَسْمُو بِأَجْرَدٍ فِي أَلْهَوَاءِ مَتَوِجِ
 عُرْيَانٍ مَنْسُوجِ الذَّوَائِبِ شَوْذِبِ (1)
 يَنْزِلُ الْمَلَأُحُ مِنْهُ دُؤَابَةٌ
 لَوْرَامٍ يَرْكَبُهَا الْقَطَا لَمْ يَرْكَبِ
 فَكَأَنَّمَا رَامَ اسْتِرَاقَةً مَقْعِدَ
 لَيْسَمَعٍ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُشْهَبِ
 وَكَأَنَّمَا جَنَّ ابْنُ دَاوُدَ هَمِّ
 رَكِبُوا جَوَانِبَهَا بِأَعْنَفِ مَرْكَبِ
 سَجَرُوا جَوَاحِمَ نَارِهَا فَتَقَادَفُوا
 مِنْهَا بِالسُّنِّ مَارِجٍ مُتْلَهَبِ (2)

(1) الشوذب من الرجال : الطويل الحسن الخلق
 (2) سجر : ملأت الجاحم : الحجر الشديد الاشتعال

مِنْ كُلِّ مُسْجُورٍ الْحَرِيقِ إِذَا انْبَرَى
 مِنْ سِجْنِهِ انْصَلَّتْ انْصِلَاتَ الْكَوْكَبِ (1)
 عُرْيَانُ يَقْدُمُهُ الدُّخَانُ كَأَنَّهُ
 صُبْحُ يَكْرُ عَلَى الظَّلَامِ الْغَيْهِبِ
 وَلَوَاحِيٍ مِثْلِ الْأَهْلَةِ جُنْحُ
 لُحْنِ الْمَطَالِبِ فَائْتَاتِ الْمُهْرَبِ
 يَذْهَبْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ لَطَافَةً
 وَيَجْلِسْنَ فِعْلَ الطَّائِرِ الْمُتَغَلِّبِ
 كَنَصَائِضِ الْحَيَاتِ رُخْنَ لَوَاعِيٍّ
 حَتَّى يَقَعْنَ بِبِرْكٍ مَاءِ الْمِيَسْرِبِ
 شَرَعُوا جَوَانِبَهَا مَجَادِفَ أَنْعَمَتْ
 شَاوِ الرِّيحِ لَهَا وَلَمَّا تَتْعَبِ
 تَنْصَاعُ مِنْ كَثَبٍ كَمَا نَفَرَ الْقَطَا
 طَوْرًا وَتَجْتَمِعُ أَجْنِمَاعُ الرُّبْرِبِ
 وَالْبَحْرُ يَجْمَعُ بَيْنَهَا فَكَائِنُهُ
 لَيْلٌ يُقَرِّبُ عَقْرَبًا مِنْ عَقْرَبِ
 وَعَلَى مَرَائِبِهَا أُسُودَ خِلَافُهُ
 تَخْتَالُ فِي عُدَدِ السَّلَاحِ الْمُذْهَبِ
 فَكَأَنَّمَا الْبَحْرُ اسْتَعَارَ بِزِيهِمْ
 ثَوْبَ الْجَمَالِ مِنَ الرَّبِّيعِ الْمُعْجَبِ

(1) انصَلَّتْ : مضى

وصف بوار

وَأَقْبَ مِنْ لُحَى الْجِيَادِ كَأَنَّهُ
 قَصْرٌ تَبَاعَدَ رُكْنُهُ عَنْ رُكْنِهِ (1)
 لَيْسَتْ قَوَائِمُهُ عَصَائِبُ فِضَّةٍ
 وَغَدَتِ بِسُمرٍ صَفَا الْمَسِيلِ وَدُكْنِهِ
 وَكَأَنَّمَا انْفَجَرَ الصَّبَاحُ بِوَجْهِهِ
 حُسْنًا أَوْ اخْتَبَسَ الظَّلَامُ بِمُتْنِهِ
 قَيْدُ الْعُيُونِ إِذَا بَصُرْنَ بِشَخْصِهِ
 وَرَضَا الْقُلُوبُ إِذَا أَصْطَلَيْنَ بِضِغْنِهِ
 مُتَسَيِّطِرٌ بِالرَّأْيَيْنِ كَأَنَّهُ
 بَازٍ تَرُوحُ بِهِ الْجُنُوبُ لِوَكْنِهِ (2)
 يَسْتَوْقِفُ اللَّحْظَاتِ فِي خَطَرَانِهِ
 بِكَمَالِ خَلْقَتِهِ وَدَقَّةِ حُسْنِهِ
 حُلُو الصَّهِيلِ تَخَالُ فِي لَهَوَاتِهِ
 حَادٍ يَصُوغُ بِدَائِعَا مِنْ لَحْنِهِ

(1) الأقب من الخيل : الضامر البطن - لحن : ضمير

(2) الوكن : عش الطائر

مُتَجَبِّرٌ يُنَبِّي بِعُتْقِ نَجَارِهِ
 إِشْرَافَ كَامِلِهِ وَدِقَّةُ أُذُنِهِ (1)
 ذُو نَخْوَةٍ شَمَخَتْ بِهِ عَنْ نِيْلِهِ
 وَشَهَامَةٍ طَمَحَتْ بِهِ عَنْ قِرْنِهِ
 وَكَأَنَّهُ فُلُكٌ إِذَا حَرَّكَتَهُ
 جَارٍ عَلَى سَهْلِ الْبِلَادِ وَحَزْنِهِ
 قَدْ رَاحَ يَحْمِلُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ
 حَمْلَ النَّسِيمِ لِيُوَابِلَ مِنْ مُزْنِهِ

(1) عتق النجار : كرم العنصر .

وصف زهرية

نَمَّ بِالرَّوْضِ خَفَقُ الرِّيحِ
 وَأَقْتَدَحَ الشَّرْقُ زِنَادَ الصَّبَاحِ
 وَأَخْجَلَ الْوَرْدُ شُعَاعَ الضُّحَى
 وَأَبْتَسَمَتْ فِيهِ ثُغُورُ الْأَقْصَا
 وَقَامَ فِي الدَّوْحِ لِنَعْيِ الدُّجَى
 حَمَائِمُ تُطْرِبُنَا بِالصَّيَا
 مُذْ وَلَدَ الصُّبْحُ وَمَاتَ الدُّجَى
 صَاحَتْ فَلَمْ نَذَرِ غِنَى أَمْ نُـوَاحِ
 وَيَوْمَ دَجَنَ حُجِبَتْ شَمْسُهُ
 وَأَشْرَقَتْ فِي لَيْلِهِ شَمْسُ رَاخِ
 فَمَا ظَنَّنَا الصَّبِيحَ إِلَّا دُجَى
 وَلَا حَسَبْنَا اللَّيْلَ إِلَّا صَبَا

طيف الحبيب

طَيْفٌ يَزُورُكَ مِنْ حَبِيبٍ هَاجِرٍ
 أَهْلًا بِهِ وَبِطَيْفِهِ مِنْ زَائِرٍ
 شَقَّ الدُّجَى وَسَرَى فَأَمْنٌ فِي السُّرَى
 حَتَّى أَلَمَ فَبَاتَ بَيْنَ مُحَاجِرٍ
 يَحْدُو بِهِ هَيْفُ الْقَوَامِ الْمُتَنَبِّهِ
 نَحْوِي وَسَالِفَةُ الْغَزَالِ النَّافِرِ
 لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ خَيْالٍ وَاصِلِ
 أَسْرَى فَأَنْصَفَ مِنْ حَبِيبٍ هَاجِرِ
 عَلَلْتُ عِلَّةَ قَلْبٍ صَبَّ هَائِلِمْ
 وَقَضَيْتَ ذِمَّةَ فَيْضِ دَمْعٍ قَاطِرِ

مَثَلُ صَاحِبِ الْحِمَارِ

«فارتقى الملعون من خيفته
 «ففي ذرى خلطاء ملساء على
 «معقل من فوقه الله ومن
 «فارتقى المنصور بالسيف له
 «واثقا بالله في غربته
 «فإذا مخذل في كف الردى
 «قد رمته الحرب عن غاربها
 «كنفيض أخرجته أمه
 «فاوى من كرم المنصور في
 «طلباً منه لتبقى روحه
 «فأبى الله سوى إعجاله
 «فنفذا عنه أديما دنساً
 «كأديم التيس لما لم يطب
 «وحشاه سالخوه سقفا
 «ثم رقاؤه على مستحصيد

في ذرى أعيط عالٍ مُصِيدُ (1)
 ذلك المعقل ليست بصدد (2)
 تحته المنصور في جيش معد
 يوم طعن كشابيب البرد
 من بني أحمد ناء مُنفرد
 مؤثق الجيد بحبل من مسد
 واهي الركن ذليل المُستند
 ليس إلا نبض عرق وجسد
 كنف رجب وخفض ورغد
 وبقاء الروح أشفى للكمد
 وعذاب الله للجسم أهـد
 كان قد أسرف فيه ومرد
 ريحه جرد منه فأنجرد
 مالتا بين كعوب وكتد
 باسق أجرد ما فيه أود (3)

(1) القصر الأعيط هو الشامخ المنيف .

(2) الخلطاء : المستوية الجبين ولعله يعني صعوبة الصعود إليها . وليست بصدد قد تعني ليست بقريبة المثال .

(3) نقلا عن حوليات الجامعة التونسية . ع 73/10 : شعراء افريقيون :

محمد اليعلاوي ، ص 102

ملح المنصور (1)

أعلن القائم ولاية العهد لابنه اسماعيل المنصور « لسبع خلون من رمضان سنة 334 ... وكان المنصور يومئذ بلغ ثلاثا وثلاثين سنة » .

وفي عيد الفطر (من سنة 334) خرج المنصور للصلاة من قصره إلى المصلّى ، فصلى صلاة العيد وقام خطيبا ... »

وقال (علي الايدي) في ذلك :

توسّم صباح المجد من أين يُشسّرُق
وعرّف الرضى والعلم من أين يعبّقُ
ومثّل - على أنّ النجوم كثيرة
بأيّ سراج تهتدي فتوقّقُ
لقد صحّ للمرتداد ما كان يبتغي
وصاب له الغيث الذي كان يُبرقُ
وقد كانت الأيام خرسا فأصبححت
لها ألسن بالشكر لله تنطّقُ

(1) قفلا عن الحوليات ع 79/71 - شعراء افريقيون : محمد العلاوي. ص 51 - 52 -

فما بعد هذا للوسائل ملجأ ولا للمنى في غيره متعلق
 تليق بإسماعيل نائرة العسلا
 ويفسدو بها من غيره وهو أليق
 أمين تمنته الرئاسة مد نشأ
 تتسوق إلى أخلاقه وتَشَوِّقُ
 وكانت عيون الأمر من شَغَفٍ به
 على رغبة ترنو إليه وتُطبقُ
 ترى غرة الميعاد وهي جليسة
 تُخَبِّبُ إلى الميقات فيه وتَغْنِيقُ
 وطلعة وجه أكمل الله نورها
 يكاد لها ضوء النواظر يُرهِقُ
 وأخلاق مخلوق من البر والتقى
 أظن الرضى والعلم منهن يُخْلَقُ
 فقد وضعت تلك المواعيد حملها
 تماما وكانت قبل ذلك تُطَلَّقُ
 شهدت بأن الله بالغيب عالم
 وأن أمير المؤمنين موفَّق
 رأى نجله من نعمة الله عنده
 يُحاذيه في أحكامه فتُصدَّقُ
 عليه دليل من تقاه وشاهد
 يلوح ونور من علاه ورواق

فأبرزه فينا لكل ملء
 تُنَاطُ بِهِ الْأَمَالُ مَنَا فَتَعَلَّقُ
 وَلَمَّا اسْتَهَلَّتْ بِالْفَوَاضِلِ كَفُّهُ
 تَيَقَّنَ بَاغِي الرِّزْقِ مِنْ أَيْنَ يُرَزَّقُ
 مَالَتْ أَمَانِيُ النُّفُوسِ بِأَسْرَهَا
 إِلَيْهِ ، فَبَاتَتْ فِي ذُرَاهِ تُحَقِّقُ
 فِيهَا صَفْوَةَ اللَّهِ الْمُقَدَّسَةِ التَّيَّي
 تُصَبِّحُ مَنَا بِالصَّلَاةِ وَتُغْبِقُ
 إِلَيْكَ شَكُونَنَا مِنْ أَذَى بَرْبَرِيَّةِ
 نَكَادُ لَهَا لَوْلَا وَلَايِكَ نَفَرُ
 وَهَذَا بَصْنَعُ اللَّهِ فِيكَ يَصُونُنَا
 وَنَحْنُ بِهِ فِي نَيْلِ رِفْدِكَ أَرْفَقُ

ملح المنصور

أما والقنا الظمان حِلْفَةَ مُغْتَرَمٍ
 وَجُرْدِ الْمَذَاكِي وَالصَّفِيحِ الْمُقَوِّمِ (1)
 وَشَهْبَاءٍ مِنْ نَسَجِ الْحَدِيدِ كَأَنَّمَا
 تُكَلِّلُهُ تَحْتَ الْعِجَاجِ بِأَنْجَمِ
 مُسَوِّمَةٍ رَاحَتْ رَوَاحًا وَأَرْبَحَتْ
 لِأَدْرَاكِ تَارٍ أَوْ لِأَخْرَازِ مُغْتَرَمِ
 لَقَدْ سَنَّ إِسْمَاعِيلُ سُنَّةَ جَدِّهِ
 لِكُلِّ فَصِيحٍ فِي الْبِلَادِ وَأَعْجَمِ
 وَقُلْدَ حَقِّ الْمُسْلِمِينَ بِحَقِّهِ
 فَتَمَّتْ بِهِ النُّعْمَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمِ
 وَكَانَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَمْنَا لِحَاثِفِ
 وَعِزًّا لِمَغْلُوبٍ وَغِيَا لِمُغْلِمِ
 فَيَا بِهِجَةَ الدُّنْيَا بِأَيَّامِهِ أَنْهَجِي
 وَيَا بِيضَةَ الْمَلِكِ اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي

(1) نقلًا عن الحوليات ع 73/10 — شعراء افریقیون : محمد الیعلای . ص - 113 - 114

وَيَا جَمْرَةَ الْحَرْبِ الْعَوَانِ قَدْ أَنْبَرِي
 لَكَ الْبَحْرُ زَهْوًا فَاخْمُدي أَوْ تَصْرَمِي
 وَقَدْ قَامَ بِالدُّنْيَا وَبِالدِّينِ فَاسْتَبَوْتُ
 أُمُورَهُمَا مِنْ هَاشِمٍ خَيْرٍ قِيَمِ
 مِنْ أَلْفَاطِمِيْنَ الَّذِينَ إِذَا أَنْتَمُوا
 إِلَى الْمَجْدِ غَطَّى رَأْسُهُ كُلُّ مُنْتَمِ
 مَلِيكَ إِذَا سَلَّ السُّيُوفَ عَلَى الْعِصْدَى
 دَجَا اللَّيْلُ أَوْ تُرَوَّى السُّيُوفُ مِنَ الدَّمِ
 بَدِيهَتُهُ فِينَا كَفِكْرَةٍ غَيْرِهِ
 إِذَا هُوَ أَمْضَى الْأَمْرِ لَمْ يَنْتَلِمْ
 فَنِعْمَ مَا لَأَذُ الْمُسْلِمِينَ وَكَهْفُهُمْ
 إِذَا مَا خُطُوبُ الدَّهْرِ جَاءَتْ بِصِلَمِ
 وَنِعْمَ خَطِيبُ النَّاسِ فِي كُلِّ فَيَصِلِ
 إِذَا الْخَطْبُ فِيهِ سُدَّ بَابُ التَّكَلُّمِ

طبع بمصنع الكتاب
للشركة التونسية للتوزيع
5 شارع قرطاج - تونس
219/7/82
ديسمبر 1982

صدر في هذه السلسلة

- 1- ابن هاف: احمد نال
- 2- ابن الرومي: احمد نال
- 3- تحميم بن الطغر: عبد المجيد عطية
عبد الرزاق احمليوي
- 4- الطاهر الحداد: جعفر ماجد
- 5- ابن زيدون: الطيب العشاش
جعفر ماجد
- 6- ابراهيم المصري: عبد الجبار الشريف
علي دب

الطبعة الأولى - ديسمبر 1982 - سحب من هذا الكتاب 3.000 نسخة

السعر: 1,200 د.ت
أو ما يعادله

الشركة التونسية للتوزيع
5 شارع قرطاج - تونس